

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



ALB LIBRARY



﴿مجموع رسائل﴾

من تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين ابى العباس احمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي
المتوفي سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

(الأولى)

﴿رسالة العبودية﴾

في تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)



﴿عنى بتصحيحه﴾

السيد محمد بدر الدين ابو فراس النعساني الحلبي

﴿الطبعة الأولى﴾

على نفقة السادات أحمد ناجي الجمالي ومحمد امين الحانجي وأخيه

١٣٢٣ هـ

﴿طبع بالطبعة الحسينية المصرية﴾

بجوار مسجد الامام الحسين رضى الله تعالى عنه

﴿لصاحبها ومدير ادارتها محمد عبد اللطيف الخطيب﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل الشيخ الامام العالم العلامة محي السنة وميت البدعة أبو العباس أحمد بن تيمية
رضي الله عنه وأرضاه عن قوله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) فما العبادة وفروعها
وهل مجموع الدين داخل في العبادة أم لا وما حقيقة العبودية وهل هي أعلا المقامات
أم فوقها شيء من المقامات وليسط لنا القول في ذلك فأجاب رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين . العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال
الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر
والوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد
للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين
والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله
وخشية الله والآنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا
بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادات لله
وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى
(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه
(اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم
وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من
هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي إليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا
ربكم فاعبدون) كما قال في الآية الأخرى (يَا أَيُّهَا الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا اني بما تعملون عليم) وجعل ذلك لازما لرسله الى الموت كما قال (واعبد
ربك حتى يأتيك اليقين) وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى (وله من في
السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون

الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (فالذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وذم المستكبرين عنها بقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) وقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) الآيات ولما قال الشيطان (فما أغويتني لآزبن لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) قال الله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقال في وصف الملائكة بذلك (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعددهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا) وقال تعالى عن المسيح الذى ادعيت فيه الالهية والبنوة (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لى اسرائيل) ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقد نعت الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الاسراء (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وقال في الاحياء (فأوحى الى عبده ما أوحى) وقال في الدعوة (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وقال في التحدى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) فالذين كله داخل في العبادة وقد ثبت في الصحيح أن جبريل لما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابى وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان فقال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال فما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ثم قال في آخر الحديث هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فجعل هذا كله من الدين والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال دنته فدان أى أذلته فذل ويقال ندين الله

وندين لله أى نعبد الله ونطيعه ونخضع له فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له والعبادة أصل معناها الذل أيضا يقال طريق معبد اذا كان مذلا قد وطئته الاقدام لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له فان آخر مراتب الحب هو التتيم وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الصباية لانصباب القلب اليه ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب ثم العشق وآخرها التتيم يقال تيم الله أى عبد الله فالتتيم المعبد لمحبيه ومن خضع لانسان مع بغضه له فلا يكون عابدا ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له كما قد يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شيء وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء بل لا يستحق المحبة والذل التام الا الله فكل ما أحب لغير الله فمحبه فاسدة وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا قال تعالى (قل ان كان آبائكم وأبناءكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) فجنس المحبة يكون لله ورسوله كالطاعة تكون لله ورسوله والارضاء لله ورسوله (والله ورسوله أحق أن يرضوه) والاياء لله ورسوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا يكون الا لله وحده كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيموتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالاياء لله ولرسوله لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وأما الحسب وهو الكافي فهو الله وحده كما قال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى حسبك وحسب من اتبعك الله ومن ظن ان المعنى حسبك الله والمؤمنون معه فقد غلط غلطا فاحشا كما قد بسطناه في غير هذا الموضع وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده) وتحرير ذلك أن العبد يراد به المعبد الذى عبده الله فذله ودبره وصرّفه وبهذا الاعتبار لجميع المخلوقين عباد الله من الابرار والفجار والمؤمنين والكفار وأهل الجنة وأهل النار اذ هو ربهم كلهم ومليكم لا يخرجون

عن مشيئته وقدره وكلماته التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر فما شاء كان وان لم يشأ وما شاء ان لم يشأ لم يكن كما قال تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لارب لهم غيره ولا مالك لهم سواه ولا خالق الا هو سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه وسواء علموا بذلك أو جهلوه ولكن أهل الايمان منهم علموا ذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له مستكبرا على ربه لا يقر ولا يخضع له مع علمه بان الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق اذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجد له كان عذابا على صاحبه كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فاذا عرف العبد ان الله ربه وخالقه وانه مفتقر اليه ومحتاج اليه عرف عبوديته المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع اليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبد مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فان المشركين كانوا يقرون ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدا يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر وابليس معترف بهذه الحقيقة وأهل النار قال ابليس (رب انظرني الى يوم يبعثون) وقال (رب بما أغويتني لآزيتن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) وقال (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره وكذلك أهل النار قالوا (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين) وقال (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال

أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا (فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم
بما أمر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بالهية وطاعة أمره وأمر رسله
كان من جنس ابليس وأهل النار وان ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله تعالى
وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان كان شر من أهل
الكفر والالحاد ومن ظن ان الحضر أو غيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة
ونحو ذلك كان قوله هذا شرا من أقوال الكافرين بالله ورسله حتى يدخل في النوع
الثاني من معنى العبد وهو العبد بمعنى العابد فيكون عابدا لله لا يعبد الا اياه فيطيع أمره
وأمر رسله ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادى أعداءه وهذه العبادة متعلقة بالهية
تعالى ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبد أو
يعبد معه الها آخر فالاله الذي يأله القلب بكمال الحب والتعظيم والاحلال والاكرام
والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وبها وصف
المصطفين من عبادته وبها بعث رسله وأما العبد بمعنى المعبود سواء أقر بذلك أو أنكره
فتلك يشترك فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين
الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها ويوالي
أهلها ويكرمهم بحسبه وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر والبر
والفاجر التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع ابليس اللعين
والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها في بعض الامور دون بعض أو في مقام أو
حال نقص من ايمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه
غلط الغالطون وكثر فيه الاشتباه على السالكين حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ
المنتسبين الى التحقيق والتوحيد والعرفان ما لا يحصيهم الا الله الذي يعلم السر والاعلان
والى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه بأن كثيرا من الرجال اذا
وصلوا الى القضاء والقدر امسكوا الا أنافاني انفتحت لى فيه روزة فنازعت أقدار الحق
بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذي ذكره
الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فانهم قد
يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاصي والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك
بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته
ومقتضى مشيئته فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا

وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وقالوا (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وقالوا (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) ولو هدوا لعلموا ان القدر أمرنا أن نرضي به ونصبر على موجه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض والخوف قال تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال احتج آدم وموسى فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجدك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوباً علىّ قبل أن أخاق قال نعم قال فخرج آدم وموسى وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا ان المذنب محتج بالقدر فان هذا لا يقوله مسلم ولا يقوله عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس وقوم نوح وقوم عاد وكل كافر ولا موسى أيضا لام آدم عليه السلام لاجل الذنب فان آدم تاب الله عليه فاجتبه وهداه ولكن لامة لاجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال له فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم بأن هذا كان مكتوباً قبل أن يخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرا وما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فانه من تمام الرضاء بالله ربا وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب واذا أذنب فعليه أن يستغفر الله ويتوب من صنوف المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) وقال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وقال يوسف (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد في بييل الله الكفار والمنافقين ويوالي أولياء الله ويعادى أعداء الله ويحب في الله ويبغض في الله تعالى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم) الى قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء

أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده (وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه (وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (وقال تعالى (أفنجعل
المسلمين كالجذمين (وقال تعالى (أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين
آمَنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (وقال تعالى (وما يستوى
الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا
الأموات (وقال تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل هل يستويان مثلا (وقال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن
رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينق من سرأ وجهراً هل يستويان والحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما
يوجهه لا يأت بغير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم (وقال تعالى
(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ونظائر ذلك كثير مما يفرق
الله فيه بين أهل الحق والباطل وأهل الطاعة والمعصية وأهل البر والفجور وأهل الهدى
والضلال وأهل النعم والرشاد وأهل الصدق والكذب فمن شهد الحقيقة الكونية دون
الدينية سوى بين هذه الأجناس المختلفة التي فرق الله بينها غاية التفريق حتى يؤل به الأمر
إلى أن يسوى الله بالانصاف كما قال تعالى عنهم (الله ان كنت لفي ضلال مبين اذ نسويكم
رب العالمين (بل قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سوا الله بكل موجود وجعلوا ما يستحقه
من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود اذ جعلوه هو وجود المخلوقات وهذا من أعظم
الكفر والالحاد والكفر برب العباد وهو لاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون
أنهم عباد لا بمعنى أنهم معبدون ولا بمعنى أنهم عابدون اذ يشهدون أنفسهم هي الحق كما
صرح بذلك طواغيتهم كابن عربي صاحب الفصوص وأمثلة من الملحدين المفترين
كابن سبعين وأمثلة ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون وهذا ليس بشهود حقيقة
لا كونية ولا دينية بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية حيث جعلوا وجود
الخالق هو وجود المخلوق وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعنا للخالق وللمخلوق
اذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم وأما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم
الذين هم أهل الكتاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (الله أهلين من الناس قيل من هم

يارسول الله قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته فهو لاء يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وان الخالق سبحانه مبين للمخلوقات ليس هو حالا فيها ولا متحدا به ولا وجوده وجودها والنصارى كفرهم الله بأن قالوا بالخلول والاتحاد بالمسيح خاصة فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك ان الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وان على الخلق أن يعبدوه ويطيعوا أمره ويستعينوا به على ذلك كما قال (ياك نعبد وياك نستعين) ومن عبادته وطاعة أمره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد في سبيله لاهل الكفر والنفاق فيجتهدون في اقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالاكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك اذا ازال البرد ودفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت أدوية تداوى بها ورقى نسترقى بها وثقة تقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وفي الحديث ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والارض فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله وكل ذلك من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهى ربوبية تعالى لكل شيء ويجمعون ذلك مانعا من اتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب في الضلال فعلا تهم يجهلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وقالوا (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) وهؤلاء من أعظم أهل الارض تناقضا بل كل من احتج بالقدر متناقض فانه لا يمكنه أن يقر كل آدمى على ما فعل فلا بد اذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى في الارض بالفساد وأخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التى لا قوام للناس بها أن يدفع هذا العدوان ويعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله فيقال له ان كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل أصل قولك وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه وانما هم بحسب أهوائهم وآرائهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهب به ومنهم صنف يدعون

التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلا وأثبت له صنعا
 اما من شهد أن أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك وان الله هو المتصرف فيه كما يحرك
 سائر المتحركات فانه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد
 الارادة سقط عنه التكليف ويزعم أحدهم ان الخضر سقط عنه التكليف لشهوده
 الارادة فهو لاء يفرقون بين العامة وبين الخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن
 الله خالق أفعال العباد وانه مريد لجميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما
 وبين من يراه شهودا فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن
 عن من يشهده فلا يرى لنفسه فعلا أصلا وهو لاء يجعلون الجبر واثبات القدر
 مانعا من التكليف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين الى
 التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك انه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما
 يقدر عليه خلافا كما ضاق نطاق المعتزلة وغيرهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة أثبتت
 الأمر والنهي الشرعيين وردت القضاء والقدر الذي هو ارادة الله العامة وخلقه
 لأفعال العباد وهو لاء أثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد
 القدر اذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقا وقول هو لاء شر من قول المعتزلة ولهذا لم يكن في
 السلف من هو لاء أحد وهو لاء يجعلون الأمر والنهي للمحتجويين الذين لم يشهدوا
 هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل الى هذه الحقيقة سقط عنه الأمر والنهي
 وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)
 وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هو لاء كفر صريح وان وقع فيه طوائف
 لم يعلموا أنه كفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن الأمر والنهي لازم لكل
 عبد مادام عقله حاضرا الى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهي لا بشهوده القدر ولا
 بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فان أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي
 فانه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المتأخرين وأما المتقدمون من هذه
 الامة فلم تكن هذه المقالات معروفة بينهم وهذه المقالات هي محادة الله ورسوله
 ومعاداة له وصده عن سبيله ومشاقه له وتكذيب لرسوله ومضادة له في حكمه وان كان
 من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقدان هذا الذي هو عليه طريق الرسول
 وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تحب عليه
 لاستغنائها عنها بما يحصل له من الاحوال القلبية أو ان الحمر حلال له لكونه من

الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو ان الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تذكره الذنوب ونحو ذلك ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله فهو لاء الاصناف فيهم شبه من المشركين اما أن يتدعوا واما أن يحتجوا بالقدر واما أن يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن المشركين (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) وكما قال تعالى عنهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) الى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في قوله تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) الى قوله (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) الى قوله (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الى قوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) الى قوله (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويدوقه ويحده ونحو ذلك وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم وجملهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وأمرهم باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجمعون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعية ثم الكتاب والسنة اما أن يحرفوه عن مواضعه واما أن يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه الى الله مع اعتقادهم لنقيض مدلوله واذا حقق على هؤلاء ما يزعمون من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك أولئك اذا حقق عليهم ما يزعمون من حقائق

أولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لأوليائه وأصل ضلال من ضل هو تقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختياره الهوى على اتباع أمر الله فان الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محبه له ذوق ووجد بحسب محبه فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً واما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أو نحو هذا الكلام فعباد الاصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن اناس من اتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وقال (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والاصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الايمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصليبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أهواءهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالتخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعاً للدين الذي شرعه الله كما قال (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على شريعة الله وتارة يحتجون بالقدر الكوني على شريعة الله كما أخبر به تعالى عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم قدراً وهم مستمسكون بالدين في أداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يفلطون في ترك ما أمروا به من الاسباب التي هي عبادة ظاهرين أن العارف اذا شهد القدر أعرض عن ذلك مشل من

يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون فلا حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق للجنة أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون وخلق للنار أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار يعملون وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل وتكمل على الكتاب فقال لا أعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فما أمر الله به عباده من الأسباب هو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى (فاعبدوه وتوكلوا عليه) وفي قوله (قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) وقول شعيب عليه السلام (عليه توكلت واليه أنيب) ومنهم طائفة قد تركت المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتقتصر بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادات والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيراً ما تعرض لأهل السلوك والتوجه وإنما يخو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك إن السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الاسماء مقصودها واحد ولها أصلا ن أحدهما أن لا يعبد الا الله والثاني أن يعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من الاهواء والبدع قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وقال تعالى (ابى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف ولا هم يحزنون) وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً) فالعمل الصالح هو الاحسان وهو فعل الحسنات والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به من ايجاب واستحباب فما كان من البدع التي في الدين ليست مشروعة فإن لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما ان ما يظن أنه فجور كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح وأما قوله (ولا يشرك

بعبادة ربه أحدا) وقوله (أسلم وجهه لله) فهو اخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فان قيل فاذا كان جميع ما يحبه الله داخل في اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها كقوله (اياك نعبد واياك نستعين) وقوله (فاعبدوه وتوكل عليه) وقول نوح (اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وكذلك (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وايتاء ذى القربى هو من العدل والاحسان كما أن الفحشاء والبغى من المنكر وكذلك قوله (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة واقاموا الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله) انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا) ودعاؤه رغبا ورهبا من الخيرات وأمثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطنوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تنوع بحال الافراد والاقتران فاذا أفرد عم واذا قرن بغيره خص كاسم الفقير والمسكين لما أفرد أحدهما في قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) وقوله (أو اطعموا عشرة مساكين دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما في قوله تعالى) انما الصدقات للفقراء والمساكين صارا نوعين وقد قيل ان الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال الاقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق أن هذا ليس بلازم قال تعالى (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وقال تعالى (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومريم) وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لساير أفراد العام كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) فقوله يؤمنون بالغيب يتناول الغيب الذى يجب الايمان به لكن فيه اجمال وليس فيه دلالة على أن من الغيب ما أنزل اليك وما أنزل

من قبلك وقد يكون من المقصود أنهم يؤمنون بالخبر به وهو الغيب وبالأخبار بالغيب وهو ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى (أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة) وقوله تعالى (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) وتلاوة الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمشابهه ويعملون بمحكمه فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصصها بالذكر لمزيتها وكذلك قوله لموسى (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) وأقام الصلاة لذكره من أجل عبادة وكذلك قوله تعالى (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) وقوله (اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فان هذه الامور هي أيضا من تمام تقوى الله فكذلك قوله (فاعبده وتوكل عليه) فان التوكل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خست بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصيتها بأنها هي العون على سائر أنواع العبادة اذ هو سبحانه لا يعبد الا بعبودته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه أو ان الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات تفتطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عداوكلهم آتية يوم القيامة فردا) وقال تعالى في المسيح (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وقال تعالى (وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادة ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقال تعالى (لن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادة ويستكبر فيسيحسره اليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) وقال تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى (ومن آياته

الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهم ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) وقال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وهذا ونحوه مما فيه وصف أكبر المخلوقات بالعبادة وذمه من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد أخبر الله انه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واقعد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى لبني اسرائيل (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون) (فإياي فاتقون) وقال (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (وقل تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل اني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه وكل رسول من الرسل افتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام اعبدوا الله مالكم من اله غيره وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري وقد بين أن عبادة هم الذين يخون من الشيطان قال الشيطان (فما أغوياني لازنين لهم في الارض ولا أغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) قال الله تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) (وقل (فبعزتك لا أغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وقال في حق يوسف عليه السلام (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقال (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وبها نعت كل من اصطفاه من خلقه كقوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَ الدَّارِ) وقوله (واذكر عبدنا داود ذا الأيدي انه أواب) وقال عن سليمان (نعم العبد انه أواب) وعن أيوب (نعم العبد) وقال (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه) وقال عن نوح عليه

السلام (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) وقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وقال (وانه لما قام عبد الله يدعوه) وقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) وقال (فأوحى الى عبده ما أوحى) وقال (عينا يشرب بها عباد الله) وقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) ومثل هذا متعدد في القرآن

فصل اذا تبين لك ذلك فاعلم ان الناس في هذا الباب يتفاضلون فيه تفاضلا عظيما وهو تفاضهم في حقيقة الايمان وهم ينقسمون فيه الى عام وخاص ولهذا كانت ربوبية الرب سبحانه لهم فيها عموم وخصوص وضروب ولهذا كان الشرك في هذه الامة أخفى من ديب النمل وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس واتكس واذا شيك فلا انتقش اذا أعطى رضى واذا منع سخط فسماء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء وخبر وهو قوله تعس واتكس واذا شيك فلا انتقش والنتقش اخراج الشوكة من الرجل والمنقاش ما يخرج به الشوكة وهذه حال من اذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس واتكس فلا نال المطلوب ولا خلس من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه اذا أعطى رضى وان منع سخط كما قال تعالى (ومنهم من يملئ في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) فرضاهم اغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه ان حصل له رضى وان لم يحصل له سخط فهذا عبد ما بهواه من ذلك وهو رقيق له اذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فاسترق القلب واستعبده فهو عبده ولهذا يقال

العبد حر ماقنع * والحر عبد ما طمع

وقال الشاعر

أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولو انى قنعت لكنت حرا

ويقال الطمع غل في العنق وقيد في الرجل فاذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال الطمع فقر واليأس غنى وان أحدكم اذا يئس من شئ استغنى عنه وهذا أمر يجده الانسان من نفسه فان الامر الذي يئس منه لا يطلبه ولا يطمع به فلا يبقى قلبه فقيرا اليه ولا الى من يفعله وأما اذا

طمع في أمر من الامور رجاه وتعلق قلبه به فصار فقيرا الى حصوله والى من يظن انه سبب في حصوله وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك قال الحليل صلى الله عليه وسلم (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له فالعبد لا بد له من رزق وهو محتاج الى ذلك فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله فقيرا اليه واذا طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة في الاصل وانما أئحت للضرورة وفي النهى عنها احاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد كقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم وقوله من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو خموشا أو كدوحافي وجهه وقوله لا تحل المسألة الا لذي غرم منقطع أو دم موجع أو فقر مدقع وهذا المعنى في الصحيح وفيه أيضا لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقال ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف نخذه ومالا فلا تتبعه نفسك فكره أخذه من سؤال اللسان واستشرف القلب وقال في الحديث الصحيح من يستغن يغنه الله ومن يستغفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا أصلا وفي المسندان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يسقط من يده الشيء فلا يقول لأحد ناولني اياه ويقول ان خذلي أمرني أن لا أسأل الناس شيئا وفي صحيح مسلم وغيره عن عوف بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم بياعه في طائفة وأسر اليهم كلمة خفية أن لا يسألوا الناس شيئا فكان بعض أولئك النفر ليسقط السوط من يد أحدهم فلا يقول لأحد ناولني اياه وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع كقوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استغنت فاستغن بالله ومنه قول الحليل عليه السلام (فابتغوا عند الله الرزق) ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله لان تقديم الضرف يشعر بالاختصاص والحصر كانه قال لا تبتغوا الرزق الا عند الله وقد قال تعالى (واسألوا الله من فضله) والانسان لا بد له من حصول ما يحتاج اليه من الرزق ونحوه ومن دفع ما يضره وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله فله يسأل واليه يشتكى كما قال يعقوب (انما أشكو بشي وحزني الى الله) والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل والصبر الجميل والصفح الجميل

وقد قيل ان الهجر الجميل هو الهجر بلا أذى والصفح الجميل صفح بلا معاتبة والصبر الجميل صبر بلا شكوى الى المخلوق ولهذا قرئ على أحمد بن حنبل في مرضه ان طاووسا كان يكره أن ين المريض ويقول انه شكوى فما أن أحمد بن حنبل حتى مات وأما الشكوى الى الخالق سبحانه فلا تنافي الصبر الجميل فان يعقوب عليه السلام قال (فصبر جميل) وقال (انما أشكو بشي وحزني الى الله) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل فمر بهذه الآية فيصكي حتى سمع نسيجه من آخر الصفوف ومن دعا موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلاان ولا حول ولا قوة الا بك وفي الدعاء الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي اللهم الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل علي غضبك لك العتي حتى ترضى فلا حول ولا قوة الا بك وفي بعض الروايات ولا حول ولا قوة الا بك وكلما قوى طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحرية مما سواه فكما ان طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له ويأسه منه يوجب غناء قلبه عنه كقيل استغن عن شئت تكن نظيره • وأفضل على من شئت تكن أميره • واحتج الى من شئت تكن أسيره • فكذلك طمع العبد في ربه ورجاه له يوجب عبوديته له واعراض قلبه عن الطاب من الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لاسيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث يكون قلبه معتمدا اما على رياسته وجنوده وأتباعه ومماليكه واما على أهله وأصدقائه واما على أمواله وذخائره واما على ساداته وكبرائه كالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ممن هو قد مات أو يموت قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خيرا) وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك وان كان في الظاهر أميرا لهم مدبرا لهم متصرفا بهم فالعاقل ينظر الى الخائف لا الى الظواهر فالرجل اذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر

سيدها لانه زوجها وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لاسيما اذا درت بفقره اليها وعشقه لها وانه لا يعتاض عنها بغيرها فانها تحكم فيه حيث يشاء حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم فان أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فان من استعبد بدونه استرق وأسر لا يبالى اذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً بل يمكنه الاحتيال في الخلاص وأما اذا كان القلب الذي هو الملك رقيقاً مستعبداً متياً لغير الله فهذا هو الذل والاسر المحض والعبودية لما استعبد القلب وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب فان المسلم لو أسره كافر واسترقه فاجبر بغير حق لم يضره ذلك اذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات ومن استعبد بحق اذا أدى حق الله وحق مواليه له أجران ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك وأما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس وهذا لعمري اذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة فأما من استعبد قلبه صورة محرمة امرأة أو صبي فهذا هو العذاب الذي لا ثواب فيه وهؤلاء من أقل الناس ثواباً وأعظمهم عذاباً فان العاشق لصورة اذا بقي متعلقاً بها متعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصىه الا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن فعل ذنبا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين كما قيل

سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى افاقة من به سكران

وقيل في آخر

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وإنما يصرع الجنون في حين

ومن أعظم هذا البلاء اعراض القلب عن الله فان القلب اذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له لم يكن شئ قط عنده أحلى من ذلك ولا أطيب ولا ألد والانسان لا يترك محبوباً الا بمحبوب آخر يكون أحب اليه منه أو خوفاً من مكروه فالحب الفاسد انما ينصرف القلب عنه بالحلم أو بالخوف من الضرر قال تعالى في حق يوسف عليه السلام (كذلك

لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فالله يصرف عن عبده ما يسوءه من الميل الى الصورة والتعلق بها ويصرف عنه الفحشاء باخلاصه لله ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة المبودية لله والاخلاص بغلبة نفسه على اتباع هواها فذا ذاق طعم الاخلاص وقوى في قلبه اتقهر له هواه بلا علاج قال الله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) فان في الصلاة دفعا للمكروه وهو الفحشاء والمنكر وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه فان ذكر الله وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها فاما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع والقلب خلق يحب الحق ويريد به وبطلبه فلما عرضت له ارادة الشر طلب دفع ذلك فانه يفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل ولهذا قال تعالى (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها) وقال (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم) وقال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج هو أزكى للنفس وبين ان ترك التواحش من زكاة النفوس وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من التواحش والظلم والشرك والكذب وغير ذلك وكذلك طالب الرياسة والعلو في الارض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الاموال والولايات ويعفو عنهم ليطيعوه ويعينوه فهو في الظاهر رئيس مطاع وفي الحقيقة عبد مطيع لهم والتحقيق ان كلاهما فيه عبودية للآخر وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله واذا كان تعاونهما على العلو في الارض بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين هواه الذي يستعبده واسترقه للآخر وهكذا أيضا طالب المال فان ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الامور نوعان منها ما يحتاج اليه العبد كما يحتاج الى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجاته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه بل بمنزلة الكنيف الذي يقضى فيه حاجته من غير أن يستعبده فيكون هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومنها ما لا يحتاج اليه العبد فهذه لا ينبغي له أن يعلق قلبه بها فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار معتمدا على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من

العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الحمضة وهذا هو عبد هذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضى وإن منعه إياها سخط وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويجب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما يبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداءه وهذا الذى استكمل الإيمان كما فى الحديث من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وقال أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأحب المخلوق لله لالوجه آخر فكان هذا من تمام حبه لله فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب فإذا أحب أنبياء الله وأوليائه لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لالشيء آخر فقد أحبه الله لالغيره وقد قال تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) ولهذا قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) فإن الرسول يأمر بما يحبه الله وينهى عن ما يبغضه ويفعل ما يحبه الله ويحذر بما يحب الله التصديق به فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبره ويطيعه فيما أمره ويتأسى به فيما فعل ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله تعالى فجعل الله لأهل محبته علامتين اتباع الرسول والجهاد فى سبيله وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان وقد قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناءكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فترى بصوا حتى يأتى الله بأمره) فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد فى سبيله بهذا الوعيد بل قد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وفى الصحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا نفسى فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من

نفسك قال فو الله لأنت أحب الى من نفسي فقال الآن يا عمر حقيقة المحبة لاتم الا بموالاته المحبوب وهو موافقته في حبه ما يحب وبغض ما يبغض والله يحب الايمان والتقوى وبغض الفسوق والعصيان ومعلوم ان الحب يحرك ارادة القلب وكلما قويت المحبة في القلب طلب فعل المحبوبات فاذا كانت المحبة تامة استلزمت ارادة جازمة في حصول المحبوبات فاذا كان العبد قادرا عليها حصلها وان كان عاجزا عنها فقد ما يقدر عليه من ذلك كان له كأجر الفاعل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا وقال ان بالمدينة رجلا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر والجهاد هو بذل الوسع والقدرة في حصول محبوبات الحق ودفع ما يكرهه الحق فاذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلا على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه ومعلوم ان المحبوبات لاتنال غالبا الا باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة فالمحبون للرياسة والمال والصور لا ينالون مطالبهم الا بضرر يلحقهم في الدنيا مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة فالحب لله ورسوله اذا لم يحتمل ما يرى ذو الرأي من المحيين لغير الله في حصول محبوباتهم دل ذلك على ضعف محبته لله اذا كان ماسلكه أولئك هو الطريق الذي يسير به العقل ومن المعلوم ان المؤمن أشد حبا لله قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) نعم قد يسلك الحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لا يحصل بها المطلوب فمثل هذه الطريق لا تحمد اذا كانت المحبة صالحة محمودة فكيف اذا كانت المحبة فاسدة والطريق غير موصل كما يفعله المتهورون في طاب الرئاسة وانا والصور في حب أمور توجب لهم ضررا ولا تحصل لهم مقصودا وانما المقصود الطارق التي يسلكها العقل لحصول مطلوبه اذا تبين هذا فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية وحرية عما سواه وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه والقلب فقير بالذل الى الله من جهتين من جهة العباداة والعلّة الغائية ومن جهة الاستعانة والتوكّل وهي العسلة الفاعلية فالقلب لا يصلح ولا يفلاح ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن الا بعبادة ربه وحبه والانابة اليه ولو حصل له كلما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن اذ فيه فقر ذاتي الى ربه من حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه وبذلك يحصل

له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة وهذا لا يحصل له الا باعانة الله له لا يقدر على تحصيل ذلك له الا الله فهو دائماً مقتدر الى حقيقة اياك نعبد واياك نستعين فانه لو أعين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهي ويريد ولم يحصل له عبادة الله بحيث يكون هو غاية مرادد ونهاية مقصوده وهو المحبوب له بالقصد الاول وكلما سواه فانه يحبه لاجله لا يحب شيئاً لذاته الا الله فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد يحقق حقيقة لاله الا الله ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة وكان فيه من النقص والعيب بل ومن الآلام والحسرة والعذاب بحسب ذلك ولو سعى في هذا المطلوب فلم يكن مستعينا بالله متوكلاً على الله مفتقراً اليه في حصوله لم يحصل له فان ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن فهو مفتقر الى الله من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود من حيث هو المسؤول المستعان به المتوكل عليه فهو الهه لا اله له غيره وهو ربه لا رب له سواه ولا تتم عبوديته لله الا بهذين فمتى كان محباً لغير الله لذاته أو ملتفتاً الى غير الله أنه يعينه كان عبداً لما أحبه وعبد لما رجاه بحسب حبه له ورجائه اياه واذا لم يحب لذاته الا الله وكلما أحبه سواه فانما أحبه له ولم يرج قط شيئاً الا الله واذا فعل ما فعل من الاسباب أو حصل ما حصل منها كان شاهداً ان الله هو الذي خلقها وقدرها وان كل من في السموات والارض فآله ربه ومليكه وخالقه وهو فقير اليه كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك والناس في هذا على درجات متفاوتة لا يحصى طرقها الا الله فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم الى الله وأقواهم وأهداهم أتمهم عبودية لله من هذا الوجه وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذي أرسل الله به رساله وأنزل به كتبه وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره فالمستسلم له ولغيره مشرك والمنتمتع عن الاستسلام له مستكبر وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر كما ان النار لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فجعل الكبر مقابل الايمان فان الكبر ينافي حقيقة العبودية كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبت به فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية والكبرياء أعلى من العظمة ولهذا جعلها بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الازار ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والاعیاد هو التكبير وكان مستحباً في الامكنة العالية كالصفا والمروة واذا علا الانسان شرفاً أو ركب دابة أو نحو ذلك وبه يطفأ الحريق وان عظم وعند الأذان يهرب الشيطان قال الله تعالى

(ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غير الله فان الايمان حساس متحرك بالارادة وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أصدق الاسماء حارث وهمام والحارث انكسب الفاعل والهمام فعل من الهم والهم أول الارادة فالانسان له ارادة دائما وكل ارادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهي حبه وارادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وارادته بل استكبر عن ذلك فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب اما المال والجاه واما الصور واما ما يتخذها من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والاونان وقبور الانبياء والسالحين أو من الملائكة والانبياء الذين يتخذهم أربابا أو غير ذلك مما عبد من دون الله واذا كان عبدا لغير الله يكون مشركا وكل مستكبر فهو مشرك ولهذا كان فرعون من أعظم الحاق استكبارا عن عبادة الله وكان مشركا قال الله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقت فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عنذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب الى قوله (ولقد جاءكم يوسف من قبل بلبينات فاذا لم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قاتم ان يبعث الله من بعده رسولا) الى قوله (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) وقال تعالى (وقارون وفرعون وهامان وانما جاءهم موسى بلبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) وقال تعالى (ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين) الى قوله (فلما جاءهم آياتنا مبصرة قتلوا هذا سحرة مجرمين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظما وعلا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) ومثل هذا في القرآن كثير وقد وصف فرعون بالشرك في قوله (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذكروا آلهتك) بل الاستقراء يدل على أنه كلما كن الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم اشراكا بالله لانه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته الى المراد المحبوب الذي هو مقصود القلب بالقصد الأول فيكون مشركا بما استعبده من ذلك ولن يستغنى

القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد الا اياه ولا يستعين
 الا به ولا يتوكل الا عليه ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ولا يكره الا ما يبغضه الرب
 ويكرهه ولا يواي الا من والاه الله ولا يعادي الا من عاداه الله ولا يحب الا الله
 ولا يبغض الا الله ولا يعطي الا الله ولا يمنع الا الله فكلما قوى اخلاص دينه لله كملت
 عبوديته لله واستغناؤه عن المخلوقات وكال عبوديته لله يبريه من الكبر ومن الشرك
 فالشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود قال الله تعالى في النصارى اتخذوا
 أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها
 واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وقال في اليهود (أفكلما جاءكم رسول بما
 لاتهمون أنفسكم استكبرتم ففرقا كفتم ففرقا تقتلون) وقال اسأصرف عن آياتي
 الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل
 الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) ولما كان الكبر مستلزما
 للشرك والشرك ضد الاسلام وهو الذنب الذي لا يغفره الله قال الله تعالى (ان الله
 لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
 بعيدا) كان الانبياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره
 لا من الاولين ولا من الآخرين قال نوح عليه السلام فان توليتم فاسألتكم من أجر
 ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين وقال تعالى في حق ابراهيم
 ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة
 لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنوه ويعقوب
 يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وאתم مسلمون وقال يوسف عليه السلام
 (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقال موسى عليه السلام يا قوم ان كنتم آمنتم بالله
 فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا وقال تعالى انا أنزلنا التوراة فيها
 هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا) وقالت بلقيس (رب انى ظلمت
 نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال تعالى (واذا أوحيت الى الخواصين أن
 آمنوا بى ورسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) وقد قال تعالى (ان الدين عند الله
 الاسلام) وقال تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال تعالى (أفنير
 دين الله ببغون وله ألم من في السموات والارض طوعا وكرها) فذكر اسلام الكائنات
 طوعا وكرها لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التبعيد العام سواء أقر المقر بذلك أو

أنكره وهم مدينون مدبرون فهم مسامون له طوعا وكرها ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاء وقدره وقضاه ولا حول ولا قوة الا به وهو رب العالمين وما يكرمهم يصرفهم كيف شاء وهو خلقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل ماسواه فهو مربوب مصنوع مفلطور مأثور فقير محتاج معبد مقهور وهو الواحد القهار الخالق البارئ المصور وهو وان كان قد خلق ما خلقه بأسباب فهو خالق السبب والمقدر له وهذا مفتقر اليه كافتقار هذا وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب آخر يعاونه والى ما يدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويمانعه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ماسواه ليس له شريك يعاونه ولا ضد يناوئه ويعارضه قال تعالى (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) وقال تعالى عز الخليل (يا قوم اني برىء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قل اتحاجونني في الله وقد هذان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حاجتنا آياتها ابراهيم على قومه) وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوا يا رسول الله أينالم يلبس ايمانه بظلم فقال انما هو الشرك ألم تسمعون الى قول المبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وابراهيم الخليل امام الخلفاء المخلصين حيث بعث وقد طبق الارض دين المشركين قال الله تعالى (واذا ابني ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) فين أن عهده بالامامة لا يتناول الظالم فلم يأمر سبحانه أن يكون الظالم اماما وأعظم الظلم الشرك قال تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) والأمة هو القدوة بفعل الخير الذي يتم به كمال القدوة الذي يقتدى به والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب وانما بعث الانبياء بعده بملته قال تعالى (ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

وقال تعالى (ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين وقال تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان خفيفا مسلما وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم خفيفا وما كان من المشركين قالوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم خير البرية فهو أفضل الأنبياء بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو خليل الله وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه أنه قال صلى الله عليه وسلم إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه وقال لا يبق في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبى بكر وقال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنها كم عن ذلك وكل هذا في الصحيح وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام وذلك من تمام رسالته فإن في ذلك تمام تحقيق محالته لله تعالى التي أصلها محبة الله تعالى العبد خلافا للجهمية وفي ذلك تحقيق توحيد الله وأن لا يعبد الا الله ردا على أشباه المشركين وفيه رد على الرافضة الذين يخسون الصديق حقّه وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة اشراكا بالبشر والحلة هي كمال المحبة المستازمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكل الحب فانهم يقولون قلب مقيم اذا كان متعبدا للمحبوب والتمتع بالتعبد وتم الله عبده وهذا أعلى الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ولهذا لم يكن له من أهل الأرض خليل اذا الحلة لا تشمل الشراكة فانه كما قيل في المعنى

قد تخللت مسلك الروح منى * وبذا سمى الخليل خليلا

بخلاف أصل الحب فانه صلى الله عليه وسلم قد قال في الحديث الصحيح في الحسن واسامة اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وسأله عمرو بن العاص أى الناس أحب إليك قال عائشة قال فمن الرجال قل أبوها وقال لعلى رضى الله عنه لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمثال ذلك كثير وقد أخبر تعالى أنه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال فسوف يأتي الله

بقوم يحبهم ويحبونه فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال والذين آمنوا أشد حبا لله وأما الخلقة نفاسة وقول بعض الناس أن محمدا حبيب الله وإبراهيم خليل الله وظنه أن المحبة فوق الخلقة قول ضعيف فإن محمدا أيضا خليل الله كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب و خليل وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لاتصلح أن يعتمد عليها وقد قدمنا أن محبة الله محبة ما أحب كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجد الحلاوة بالشئ يتبع المحبة له فمن أحب شيئا واشتهاه إذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب ادراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى ومن قال إن اللذة ادراك الملائم كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء فقد غلط في ذلك غلطا بينا فإن الادراك يتوسط بين اللذة والمحبة فالإنسان مثلا يشتهي الطعام فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة فاللذة تتبع النظر إلى الشئ فإذا نظر إليه التذ واللذة تتبع النظر ليست نفس النظر وليست هي رؤية الشئ بل تحصل عقيب رؤيته قال تعالى (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والألم من فرح وحزن وأمثال ذلك يحصل بالشعور بالمحجوب أو الشعور بالمكروه وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواحد لحلاوة الإيمان يتبع كل محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة وتزريقها ودفع ضدها فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم وتزريقها أن يحب المرء لا يحبه إلا الله ودفع ضده أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهية الالتقاء في النار فإذا كان محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب المؤمنين الذين يحبهم الله لانه أكمل الناس محبة لله وأحقهم بأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله والخلقة ليس فيها لغير الله نصيب بل قال لو كنت متخذا خليلا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلا علم مزيد مرتبة الخلقة على مطلق المحبة والمقصود هو أن الخلقة والمحبة لله حقيق عبوديته وإنما يغلط من يغلط في

هذه من حيث يتوهمون ان العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لاجبة معه وان اجابة فيها انبساط في الاهواء أو ادلال لا تحتمله الربوبية ولهذا يذكر عن ذى النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال امسكوا عن هذه المسئلة لا تسمعها النفوس فتدعيها فكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثر الكلام في المحبة بلا خشية وقال من قال من السلف من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد ولهذا وجد في المتأخرين من انبساط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك الى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصاحب الا الله ويدعى أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الانبياء والمرسلين أو يطلبون من الله ما لا يصاحب بكل وجه الا الله لا يصاحب للانبياء والمرسلين وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ بسببه ضعف تحقيق العبودية التي ينهوا الرسل وحررها الأمر وانتهى الذى جاؤا به بل ضعف التل الذى به يعرف العبد حقيقته واذا ضعف عقل وقد العلم بالدين وفي النفس محبة انبسطت النفس بحمتها في ذلك كما ينسبط الانسان في محبة الانسان مع حقه وجهته ويقول أنا محب فلا أؤخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال وهو شبهه بقول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه قال الله تعالى قل فلم يذبكم بذنوبكم بل أتتم بشر من خلق يقفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فان تعذيبهم بذنوبهم يقتضى أنهم غير محبوبين ولا منسوين اليه بنسبة النبوة بل يقتضى أنهم مربيون مخلوقون فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه ومحبوه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فان الله يبغض منه ذلك كما يحب منه ما يشاءه من الخير اذ حبه له عبد بحسب ايمانه وتقواه ومن ظن ان الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع أصراره عاها كان بمنزلة من زعم ان تناول السم لا يضره مع مداومته عاها وعدم مداويه منه بمسحة مزاجه ولو تدبر الاحق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه وما جرى لهم من التوبة والاستغفار وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذى فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها ولو كان أرفع الناس مقاما فان الحب للمخلوق اذا لم يكن عارفا بمصاحته ولا مريدا لها بل يعمل بمقتضى الحب وان كان بهلا وظلما كان ذلك سببا لبغض المحبوب له ونفوره عنه بل لعقوبته وكثير من السالكين سلكوا

في دعوى حب الله أنواعا من أمور الجهل بالدين إمامن تعدى حدود الله وأما من
تضييع حقوق الله وأما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لاحقيقة لها كقول بعضهم أى
مريد لى ترك في النار أحدا فانا منه برىء فقال الآخر أى مريد لى ترك أحدا من
مؤمنين يدخل النار فانه منه برىء فالاول جعل مريده يخرج كل من في النار وانانى
جعل مريده يمنع أهل الكبار من دخول النار ويقول بعضهم اذا كان يوم القيامة نصبت
خيمق على جهنم حتى لا يدخلها أحد وأمثال ذلك من الافوال التي تؤثر عن بعض
المشايخ المشهورين وهي اما كذب عليهم واما غلط منهم ومثل هذا قد يصدر في حال
سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الانسان أو يضعف حتى لا يدري ما قال والسكر هو
لذة مع عدم تمييز ولهذا كان بين هؤلاء من اذا صحى استغفر من ذلك الكلام والذين
توسعوا من الشيوخ في مباح القصائد المتضمنة للحب والشوق واليوم والمذل والغرام
كان هذا أصل مقصدهم ولهذا أنزل الله للمحبة محنة يمتحن بها المحب فقال (ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فلا يكون محبا لله الا من يتبع رسوله وطاعة الرسول
ومتابته تحقيق العبودية وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعى من
الخيالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره حتى قد يضن أحدهم سقوط الأمر وتحليل
الحرام له وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته بل قد جعل محبة الله
وعبة رسوله الجهاد في سبيله والجهاد يتضمن كل محبة ما أمر الله به وكل بغض ما نهى
الله عنه ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه (أذلة على المؤمنين أئمة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها
وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم واكمل هذه الامة في ذلك أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فأتين هذا من قوم يدعون المحبة
وكلام بعض الشيوخ المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب وأرادوا أن الكون
كله قد أراد الله وجوده فغضوا أن كل المحبة ان يحب العبد كل شئ حتى الكفر والفسوق
والنسيان ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود بل يحب ما يلائمه وينفعه ويبغض ما ينافيه
ويضره ولكن استفادوا بهذا الضلال اتباع أهوائهم فهم يحبون ما يهونونه كالصور والرياسة
وفضول المال والبدع المضنة زاعمين أن هذا من محبة الله ومن محبة الله بغض ما يبغضه
الله ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال وأصل ضلالهم ان هذا القائل الذي قال ان
المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب قصد بمراد الله تعالى الارادة الدينية الشرعية

التي هي بمعنى محبته ورضاه فكأنه قال تحرق من القلب ماسوى المحبوب لله وهذا معنى صحيح فان قال من تمام الحب أن لا يحب الا ما يحبه الله فاذا أحبت ما لا يحب كانت المحبة ناقصة وأما قضاء ووقاره فهو يفضيه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه فان لم أوافقه في بنضه وكرهاته وسخطه لم أكن محبا له بل محبا لما يفضيه فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعى محبة الله ناعرا الى عموم رعيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فان دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله بل قد يكون دعوى هؤلاء شرأ من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من اتفاق الذين هم به في الارك الأسفل من النار كما قد يكون دعوى اليهود والنصارى شرأ من دعواهم اذا لم يدلوا الى مثل كفرهم وفي التوراة والانجيل من محبة الله ما هم مخفقون عليه حتى ان ذلك عندهم أعظم وصايا اثناموس ففي الانجيل ان المسيح قال أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة وان ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك وهم برآء من محبة الله اذ لم يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم وهو سبحانه يحب من يحبه لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له وان كان جزاء الله لعبده أعظم كما في الحديث الصحيح الاطى عن الله تعالى انه قل من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هروا وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوايين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح لا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث وكثير من الخطئين الذين اتبعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا في بغض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذى يتقربون به الى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التى لا يعرف صدق قائمها ولو صدق لم يكن قائما معصوما فيجعلون متبوعين لهم دين كما جعل النصارى لتقسيبهم ورهبانهم شارعين لهم ديناً ثم أنهم يتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعى انصارى في المسيح ويشبثون بالخاصة من المشاركة

في الله من جنس ما تثبته النصارى والمسيح وأمه الى أنواع آخر يطول شرحها في هذا
الموضع وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة
وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص
هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله
بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة
لا تكون لله فهي باطلة وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل فالدين ملعون ملعون ما فيها الا
ما كان لله ولا يكون لله الا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع وكل عمل أريد به غير الله لم
يكن لله وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله الا ما جمع الوصفين أن يكون لله
وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال تعالى (فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فلا بد من العمل الصالح
وهو الواجب والمستحب ولا بد أن يكون خالصا لوجه الله قال تعالى (بلى من أسلم
وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وقال صلى الله عليه
وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فم هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فم هجرته
الى ما هاجر اليه وهذا الاصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين
وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب واليه دعا الرسول صلى الله عليه وسلم وعليه
جاهد وبه أمر وفيه رغب وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه والشرك غالب على
النفوس وهو كما جاء في الحديث وهو في هذه الأمة أخفى من ديب النمل وفي حديث
آخر قال أبو بكر يارسول الله كيف تنجوا منه وهو أخفى من ديب النمل فقال يا أبا
بكر الا أعلمك كلمة اذا قلتها نجوت من دقه وجله قل اللهم اني أعوذ بك أن أشرك
بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم وكان عمر يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا
واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات
الحفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له كما قال شداد بن
أوس يا بقاءيا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الحفية قيل لأبي داود
السجستاني وما الشهوة الحفية فقال حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حرص المرء على

المال والشرف لدينه قال الترمذى حديث حسن صحيح فين صلى الله عليه وسلم ان
الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة
الغنم وذلك يبين ان الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص وذلك ان القلب اذا ذاق
حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شئ أحب اليه من ذلك حتى يقدم عليه وبذلك
يصرف عن أهل الاخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى (كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه
من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره اذ ليس عند القلب لأحلا ولا الذ
ولأطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له واخلاص الدين
له وذلك يقتضى انجذاب القلب الى الله فيصير القلب منيبا الى الله خائفا منه راغبا راهبا
كما قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) اذا الحب يخاف من زوال
مطلوبه أو حصول مرهوبه فلا يكون عبد الله ومحبه الا بين خوف ورجاء قال تعالى
(أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) واذا كان العبد مخلصا لله اجتباه ربه فأحى قلبه
واجتذبه اليه فينصرف عنه ما يصاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من ضد ذلك بخلاف
القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وحبا مطلقا فيهوئ ما يسبح له ويتشبه بما
يهواه كالغصن أى نسيم مر بعطفه اماله فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا
عبدا لمن لو اتخذ هو عبدا له لكان ذلك نقصا وعيبا وذما وتارة يجذبه الشوق
والرئاسة فترضيه الكلمة وتفضيه الكلمة ويستعبده من يثنى عليه ولو بالباطل ويعادى
من يذمه ولو بالحق وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الامور التى
تستعبد القلوب والقلوب تمراها فتخذاله هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله ومن لم يكن
مخلصا لله عبدا له قد صار قلبه مستعبدا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون هو أحب
اليه مما سواه ويكون ذليلا خاضعا له والا استعبده الكائنات واستولت على قلبه
الشياطين وكان من الغاوين اخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه
الا الله وهذا أمر ضرورى لاهية فيه فالقلب ان لم يكن خفيفا مقبلا على الله معرضا
عما سواه والا كان مشركا (فأقم وجهك للدين خفيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب

بما لديهم فرحون) وقد جعل الله سبحانه ابراهيم وآل ابراهيم أئمة للحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته واخلاص الدين له كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم قال تعالى في ابراهيم (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وایتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وقال في فرعون وقومه (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) ولهذا يصير اتباع فرعون أولا الى أنهم لا يميزون بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما قدره وقضاه بل ينظرون الى المشيئة المطلقة الشاملة ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود هذا وجوده ويقولون محققوهم الشريعة فيها طاعة ومعصية والحقيقة فيها معصية بلا طاعة والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى وما أرسله به من الأمر والنهي وأما ابراهيم وآل ابراهيم الحنفاء الانبياء فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق وبين الطاعة والمعصية وان العبد كلما ازداد تحقيا ازدادت محبته لله وعبوديته له وطاعته له واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره وطاعة غيره وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وخالقه والخليل يقول (أفأنتم ما كنتم تعبدون أتم وآبائكم الاقدمون فانهم عدو لى الارب العالمين) ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ كما فعلت النصارى مثال ذلك اسم الفناء فان الفناء ثلاثة أنواع نوع للكاملين من الانبياء والاولياء ونوع للمقاصرين من الاولياء والصالحين ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين فأما الاول فهو الفناء عما سوى الله بحيث لا يحب الا الله ولا يعبد الا الله ولا يتوكل الا عليه ولا يطلب غيره وهو المعنى الذى يجب أن يقصد بقول الشيخ أبى يزيد أريد أن لا أريد الا ما يريد أى المراد المحبوب المرضى وهو المراد بالارادة الدينية وكمال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى الا ما أَرَادَهُ الله ورضيه وأحبه وهو مأمر به أمر ايجاب أو استحباب ولا يحب الا ما يحبه الله كالملائكة والانبياء والصالحين وهذا معنى قولهم في قوله (الا من أتى الله بقلب سليم) قالوا هو السليم مما سوى الله أو مما سوى عبادة الله أو مما سوى ارادة الله أو مما سوى محبة الله فالمعنى واحد وهذا المعنى ان سمي فناء أو لم يسم هو أول الاسلام وآخره وباطن الدين وظاهره وأما المعنى الثانى فهو النفى عن شهود سوى ولهذا يحصل لكثير من السالكين فانهم لفرط انجذاب

قلوبهم الى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله بل ولا يشعرون به كما قيل في قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) قالوا فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى وهذا كثير يعرض لمن دهمه أمر من الامور اما حب واما خوف واما رجاء يبقى قلبه منصرفا عن كل شيء الا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره فاذا قوى على صاحب الفناء هذا فانه يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته حتى يفنى من لم يكن وهي المخلوقات المعبدة فمن سواه ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدا واذا قوى هذا وضعف الحب حتى اضطرب في تميزه فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلا أتى نفسه في اليم فالتقى محبه نفسه خلفه فقال أنا وقعت فما أوقعك خلفي فقال غبت بك عني حتى ظننت أنك أنى وهذا الموضع زل فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد وأن المحب يتحد بالمحبوب حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما وهذا غلط فان الخالق لا يتحد به شيء أصلا بل لا يتحد شيء بشيء الا اذا استحال أو فسد أو حصل من اتحادهما أمر ثالث لاهو هذا ولا هذا كما اذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك ولكن يتحد المراد والمحبوب والمكروه ويتفقان في نوع الارادة والكراهة فيجب هذا ما يجب هذا ويبغض هذا ما يبغض هذا ويرضى ما يرضى ويسخط ما يسخط ويكره ما يكره ويوالي من يوالي ويعادى من يعادى وهذا الفناء كله فيه نقص وأكابر الاولياء كآبي بكر وعمر رضي الله عنهما والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار لم يقعوا في هذا الفناء فضلا عما فوقهم من الانبياء وانما وقع شيء من هذا من بعد الصحابة وكذلك ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل والتمييز لما يرد على القلب من أحوال الايمان فان الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل وأقوى وأثبت في الاحوال الايمانية من أن تغيب عقولهم أو يحصل لهم غشاء أو ضعف أو سكر أو فناء أو وله أو جنون وانما كان مبادئ هذه الامور في التابعين من عباد البصرة فانه كان فيهم من يقضى عليه اذا سمع القرآن ومنهم من يموت كآبي جهير الضرير ووزارة بن أبي أو في قاضي البصرة وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه حتى يقول في تلك الحال من الاقوال ما اذا صحى عرف أنه غلط فيه كما يحكى ذلك عن أبي يزيد

وأبى الحسن النورى وأبى بكر الشبلى وأمثالهم بخلاف أبى سليمان الدارائى ومعروف الكرخى وفضيل بن عياض بل وبخلاف الجنيد وأمثاله ممن كانت عقولهم وتميزهم تصحبهم في أحوالهم فلا يتمون في الفناء والسكر ونحوه بل الكمل تكون عقولهم ليس فيها سوى محبة الله وأرادته وعبادته وعندهم من سعة العلم والتميز ما يشهدون به الأمور على ما هي عليه بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله مدبرة بمشيئته بل مسبحة له قانتة له فيكون لهم فيها تبيحة وذكرى ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيدا وممدا لما في قلوبهم من اخلاص الدين وتجريد التوحيد والعبادة له وحده لا شريك له وهذه الحقيقة التي دعا إليها القرآن وقام بها أهل تحقيق الايمان والكمل من أهل العرفان ونبينا صلى الله عليه وسلم امام هؤلاء وأكملهم ولهذا لما عرج به الى السموات وعان ما هناك من الآيات وأوحى اليه ما أوحى من أنواع المناجاة وأصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ولا ظهر عليه ذلك بخلاف ما كان يظهر على موسى عليه السلام من التفتى صلى الله عليهم أجمعين وأما النوع الثالث مما قد يسمى فناء فهو أن يشهد أن لا موجود الا الله وأن وجود الخالق هو وجود المخلوقات فلا فرق بين الرب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والالحاد الواقفين في الحلول والاتحاد والمشايخ المستقيمون اذا قال أحدهم ما أرى غير الله أولا أنظر الى غير الله أو نحو ذلك فمرادهم بذلك ما أرى ربا غيره ولا خالقا غيره ولا مدبرا غيره ولا إله غيره ولا أنظر الى غيره محبة له أو خوفا منه أو رجاء له فإن العين تنظر الى ما يتعلق به القلب فمن أحب شيئا أو رجاه أو خافه التفت اليه فاذا لم يكن في قلبه محبة له ولا رجاء له ولا خوف منه ولا بغض له ولا غير ذلك من تعلق القلب لم يقصد القلب أن يلتفت اليه ولأن ينظر اليه ولا أن يراه ان رآه اتفاقا رؤية مجردة كان كمن رأى حائطا ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به والمشايخ الصالحون رضى الله عنهم يذكرون شيئا من تجريد التوحيد وتحقيق اخلاص الدين كله بحيث لا يكون العبد ملتفتا الى غير الله ولا ناظرا الى ما سواه لا خبا له ولا خوفا منه ولا رجاء له بل يكون القلب فارغا من المخلوقات خاليا منها لا ينظر اليها الا بنور الله فبالحق يسمع وبالحق يبصر وبالحق يبطش وبالحق يمشى فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله ويوالي منها ما يواله الله ويعادى منها ما عاداه الله ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله فهذا هو القلب السليم الحنيفي الموحى المسلم المؤمن العارف الموحى بمعرفة الانبياء والمرسلين وتحقيقهم وتوحيدهم وانما النوع الثالث وهو الفناء في الوجود فهو تحقيق آل فرعون وتوحيدهم ومعرفتهم كالتقراطة وأمثالهم وهذا النوع الذي عليه اتباع الانبياء هو الفناء

الحمود الذي يكون صاحبه ممن أنشئ الله عليهم من أوليائه المتقين وحزبه المفاجين
 وجنده الغالين وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول أن الذي أراه يعنى من
 المخلوقات هو رب الارض والسماوات فان هذا لا يقوله الا من هو في غاية الضلالات
 والفسادات اما فساد العقل واما فساد الاعتقاد فهو مسترد بين الجنون والاحاد وكل
 المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن
 الخالق سبحانه مبين للمخلوقات وليس في مخلوقاته شئ من ذاته ولا في ذاته شئ من
 مخلوقاته وأنه يجب أفراد القديم عن الحادث وتمييز الخالق عن المخلوق وهذا في كلامهم أكثر
 من أن يمكن ذكره هنا وقد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الامراض والشبهات
 وأن بعض الناس قد يشهدوا بوجود المخلوقات فيظنه خالق الارض والسماوات لعدم
 التمييز والفرقان في قلبه بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس الذى في
 السماء وهم قد تكلموا في الفرق والجمع ويدخل في ذلك من العبادات المتلفة نظير
 ما دخل في الفناء فان العبد اذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات يبقى قلبه متفرقا بها
 متشتتا نظراً اليها وتعلقاً بها اما لمحبة واما خوفاً واما رجاء فادا انتقل الى الجمع اجتمع قلبه
 على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فالتفت قلبه الى الله بعد التفاته الى المخلوقين
 فصارت محبته لربه وخوفه من ربه ورجاؤه لربه واستعانة به وفي هذه الحال قد
 لا يسع قلبه انظر الى المخلوق ليفرق بين الخالق والمخلوق وقد يكون مجتمعاً على الحق
 معرضاً عن الخلق نظراً وتصدياً وهو نظير النوع الثانى من الفناء ولكن بعد ذلك
 الفرق الثانى وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله مدبرة بأمره ويشهد كثرتها معدومة
 بوحداية الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه رب المصنوعات والهها وخالقتها ومالكها
 فيكون مع اجتماع قلبه على الله اخلاصاً ومحبة وخوفاً ورجاء واستعانة وتوكلاً على الله
 وموالاته فيه ومعاداة فيه وأمثال ذلك ناظراً الى الفرق بين الخالق والمخلوق مميزاً بين
 هذا وهذا يشهد تفرق الخلقات وكثرتها مع شهادته أن الله رب كل شئ ومليك
 وخالقه وأنه هو الله لا اله الا هو وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم وذلك واجب في
 علم القلب وشهادته وذكره ومعرفة في حال القلب وعبادته وقصده وارادته ومحبته
 وموالاته وطاعته وذلك تحقيق شهادة أن لا اله الا الله فانه ينفي عن قلبه الهية ماسوى
 الحق ويثبت في قلبه الهية الحق فيكون فناء الهة كل شئ من المخلوقات مثبتاً لله رب
 العالمين رب الارض والسماوات وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة

ماسواه فيكون مفرقا في علمه وقصده في شهادته وارادته في معرفته ومحبته بين الخالق
والخلق بحيث يكون عالما بالله ذاكر له عارفا به وهو مع ذلك عالم بمبايسته خلقة وانفراده
عنهم وتوحيده دونهم ويكون محبا لله مظلما له عابدا له راجيا له الاستعانة به والخوف
منه والرجاء له والمواالات فيه والمعادات فيه وخائفا منه مواليا فيه معاديا فيه مستعينا
به متوكلا عليه متمتعا عن عبادة غيره والتوكل عليه والطاعة لأمره وأمثال ذلك
مداهو من خصائص الهية الله سبحانه وتعالى واقاراره بالهية الله دون ماسواه متضمن
لافراده بربوبيته وهو أنه رب كل شيء ومايكه وخالقه ومديره فحينئذ يكون موحدا لله
وبين ذلك أن أفضل الذكر لا اله الا الله كما رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وغيرهما
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله وفي الموطا وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد
وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضممر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك
بقوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون من أين غلط هؤلاء فإن الاسم هو مذكور في
الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ
وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال من جاء فتقول زيد واما الاسم
المفرد مظهرا أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر
ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يعطى القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعا وانما يعطيه
قصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقترب به من معرفة القلب وحاله ما يفيد
بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشرعة انما تشرع من الاذكار ما يفيد بنفسه لا ما يكون
الفائدة حاصلة بغيره وقد وقع من واطب على هذا الذكر في فنون من الاحاد وأنواع
من الاتحاد كما قد بسط في غير هذا الموضع وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال
أخاف أن أموت بين النفي والاثبات حال لا يقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من
الغلط ما لا يخفاء فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصده ونواه اذ
الاعمال بالنيات وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت لا اله الا الله
وقال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ولو كان ما ذكره محذورا لم يلحق

الميت كلمة يخاف أن يموت في أثائها موتا غير محمود بل كان يلقي ما اختاره من ذكر الاسم المفرد والذكر بالاسم المفرد المضمّر أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فان من قال إهو ياهو أو هو هرو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً الى ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتاباً سماه كتاب الهو وزعم بعضهم ان قوله (وما يعلم تأويله الا الله) معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو الهو وقيل هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من آيين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت وما يعلم تأويل هو منفصلة ثم كثيراً ما يذكره بعض الشيوخ أنه يحتاج على قول القائل الله بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله قل الله معناه الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهذا جواب لقوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى تورا وهدي للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا آباؤكم قل الله) أي الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله أنزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون ومما يبين ما تقدم ما ذكره سيدي وغيره من أئمة النحوان العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً لا يحكون به ما كان قولاً فالقول لا يحكى به الا كلام تام أو جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون ان اذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم والله تعالى لم يأمر أحداً بذلك اسماً مفرد ولا شرع للمسلمين اسماً مفرداً بمجرد الاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمن به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الاعراب مر بمؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا هو الاسم فأين الخبر عنه الذي به يتم الكلام وما في القرآن من قوله (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تنبيلاً) وقوله (سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقوله (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضى ذكره مفرداً بل في السنن أنه لما نزل قوله (فسبح باسم ربك العظيم) قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال اجعلوها في سجودكم فشرع لهم أن يقولوا في

الركوع سبحان ربى العظيم وفي السجود سبحان ربى الأعلى وفي الصحيح أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربى العظيم وفي سجوده سبحان ربى الأعلى وهذا معنى قوله اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فسبح اسم ربه الأعلى ذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام اتمام المفيد كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في يومه مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه ومن قال في يومه مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياہ ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطأ وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل ما قلت أنا والنبیون من قبل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك في القرآن كقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وقوله (فكلوا مما أمسكنا علیکم واذکروا اسم الله عليه) انما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على أظهر قولى النجاة أو فعلية والتقدير ذبحي بسم الله أو اذبح بسم الله وكذلك قول القارئ بسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراءتي بسم الله أو اقرأ بسم الله ومن الناس من يضمر في مثل هذا ابتدائي بسم الله أو ابتدأت بسم الله والاول أحسن لان الفعل كنه منقول باسم الله ليس مجرد ابتدائه كما أظهر المضمر في قوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وفي قوله (بسم الله مجراها ومرساها) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لربيہ عمر بن أبى سلمة سم الله وكل يمينك وكل مما يليك فالمراد أن يقول باسم الله ليس المراد ذكر الاسم مجردا وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا

دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لاميت ولا عشاء وأمثال هذا وكذلك ماشرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحبهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالجملة التامة كقول المؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله وقول المصلي الله أكبر سبحان ربى العظيم سبحان ربى الأعلى سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد التحيات لله وقول الملبي ليك اللهم ليك وأمثال ذلك فجميع ماشرعه الله من الذكر انما هو كلام تام لا اسم مفرد لا مظهر ولا مضمهر وهذا هو الذى يسمى في اللغة كلمة كقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن وقوله أفضل كلمة قالها شاعر كلمة ليد

* ألاكل شيء ما خلا الله باطل *

ومنه قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) الآية وقوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة من الكتاب والسنة بل وسائر كلام العرب فانما يراد بالجملة التامة كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم فيقولون هذا حرف غريب أى لفظ الاسم غريب وقسم سيديويه الكلام الى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم وفعل وكل من هذه الاقسام يسمى حرفا لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروفا الهجاء باسم الحرف وهى أسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الاسماء وغيرها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات اما أنى لأقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سئل الخليل أصحابه عن النطق بحرف الزاى من زيد فقالوا زاء فقال جئتم بالاسم وانما الحرف زائمه التحاة اصطلاحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها وأما ألفاظ حروف الهجاء فيعتبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة هو الذى ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب الى الله ومعرفته ومحبه وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية

والمقاصد السامية وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فلا أصل له فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى أنواع من البدع والضلالات وفريعة الى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الاتحاد وأهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع وجماع الدين أصلان أن لا يعبد الا الله وأن لا يعبد الا بما شرع لا يعبد بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وذلك تحقيق الشهادتين شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ففي الاول من أن لا نعبد الا اياه وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره وقد بين لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الامور وأخبر أنها ضلالة قال الله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما أنا مأمورون أن لا نخاف الا الله ولا نتوكل الا عليه ولا نرغب الا في الله ولا نستعين الا بالله وأن لا تكون عبادتنا الا لله فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونأسي به فالحلال ما حله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه قال الله تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فجعل الايتاء لله والرسول كما قال الله تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وجعل التوكل على الله وحده بقوله (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله كما قال (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ومثله قوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي حسبك وحسب المؤمنين كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ثم قال (وقالوا سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فجعل الايتاء لله والرسول وقدم ذكر الفضل لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين وقال (انا الى الله راغبون) فجعل الرغبة الى الله وحده كما في قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استغنت فاستغن بالله والقرآن يدل على مثل هذا وقد ذكر في غير هذا الموضع فجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة والحجة لله ورسوله كما قال نوح (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وقوله (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) وأمثال ذلك فالرسل أمروا بعبادته وحده والرغبة اليه والتوكل عليه والطاعة لهم فأضل الشيطان النصارى

وأشباههم فأشركوا بالله وعصوا الرسل فاتخذوا أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
 والمسيح بن مريم فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ويسألونهم عن معصيتهم
 لأمرهم ومخالفتهم لستهم وهدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم الذين
 عرفوا الحق واتبعوه فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين فاخلصوا دينهم
 لله وأسلموا وجوههم لله وأنابوا إلى ربهم وأحبوه ورجوه وخافوه وسألوه ورغبوا إليه
 وفوضوا أمورهم إليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعززوهم ووقروهم وأحبوهم
 ووالوهم واتبعوهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بمنارهم وذلك هو دين الاسلام الذي
 بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد
 دينا الا اياه وهو حقيقة العبادة لرب العالمين فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ويكمله
 لنا ويميتنا عليه وسائر اخواتنا المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على
 سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم

تم والله الحمد طبع رسالة العبودية لشيخ

الاسلام ابن تيمية ويلها رسالة

الواسطة للامام المذكور

﴿الواسطة بين الخلق والحق﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(مسئلة) في رجلين تناظرا فقال أحدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإلا لا تقدر أن نصل اليه بغير ذلك

(الجواب) الحمد لله رب العالمين • ان أراد بذلك انه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعد له لاوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العاليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده • فالؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة • وأما المخالفون للرسل فاتهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون • قال تعالى (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) • وقال تعالى (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) • قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقال تعالى عن أهل النار (كلما اتقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم الا في ضلال كبير) وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤاها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يسهم العذاب بما كانوا يفسقون) • وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والتبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسامان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم

عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (ومثل هذا في القرآن كثير . وهذا مما
أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين
الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره . قال تعالى (الله يصطفى
من الملائكة رسلا ومن الناس) . ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل
والسور التي أنزلها الله بمكة مثل الانعام والاعراف وذوات (الر) و (حم) و (طس)
ونحو ذلك هي متضمنة لاصول الدين كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر وقد قص
الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا
قال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم
الغالبون) . وقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)
فهذه الوسائط تطاع وتبوع ويقتهى بها كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع
بإذن الله) . وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى (قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحبك الله) . وقال (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله
الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) . وإن أراد
بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في
رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون اليه فيه فهذا من أعظم الشرك
الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم
انتفاع ويجتنبون المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حتى قال الله (الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من
ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى
ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) وقال (قل
ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له) . وقالت
طائفة من السلف كل أقوام يدعون المسيح والمزبر والملائكة فين الله لهم أن الملائكة

والانبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا وانهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولوا للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) . فبين سبحانه أن اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر من جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين . وقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) . وقال تعالى (لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً) . وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيأً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدداً وكنهم آتية يوم القيامة فردا) . وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا بضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) . وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) . وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) . وقال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) . وقال تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) ومثل هذا كثير في القرآن * ومن سوى الانبياء من مشيخ العلم والدين فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمتهم سلفونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك . وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة وان تنازعوا في شئ ردوه الى الله والرسول

إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقد قال) النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء • فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر • وإن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحياب الذي بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه فإله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم • فالخلق يستلونهم وهم يستلون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب ولا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أنداداً • وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة • إما لأخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه • ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السري وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير • يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات • لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه المسائل ولا يتسبم بالحاج المحتاجين الوجه الثاني أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه الأباغوان يعينونه فلا بد له من أنصار وأعوان لئلا يعجزه والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الدنيا قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدنيا وكبره تكبيراً) • وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خلقه وربّه ومليكه فهو النقيض عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك والله تعالى ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير • والوجه الثالث أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من نصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت

ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إماما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير وإماما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه . والله تعالى هو رب كل شئ ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها . وكل الاشياء انما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو اذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعوه له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله . وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلم أو من يرجوه الرب ويخافه . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليجزم المسئلة فانه لا مكره له والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه كما قال (من ذا الذي يشفع عنده "لا باذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقد قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فبين أن كل من دعى من دونه ليس له ملك ولا شرك في الملك ولا هو ظهير وأن شفاعتهم لا تنفع الا لمن أذن له وهذا بخلاف الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم والملك يقبل شفاعتهم تارة بمحاجته اليهم وتارة لحوف منهم وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم ولا نعمهم عليه حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه فذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه أو ان يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة . والله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد بل هو الغنى قال تعالى (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون) الى قوله (قلوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما في الارض) والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعبدونه من الشفاعة . قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في

الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وأخبر عن المشركين انهم قالوا (ما نعبد الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فإخبر ان ما يدعى من دونه لا يملك كشف ضر ولا تحويله وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون اليه فهو سبحانه قد نفى ما بين الملائكة والانبياء الا من الشفاعة باذنه والشفاعة هي الدعاء ولا ريب ان دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع الا باذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى (ما كان للذي آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) وقال تعالى في حق المنافقين (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم) وقد ثبت في الصحيح ان الله نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر انه لا يغفر لهم كما في قوله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) في الدعاء ومن الاعتداء في الدعاء ان يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل أن يسأله منازل الانبياء وليس منهم أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك أو يسأله ما فيه معصية لله كاعتائه على الكفر والفسوق والعصيان فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعة في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه فانهم معصومون ان يقرؤا على ذلك كما قال نوح (ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين) قال تعالى (يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعطاك أن تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تفعل لي وترحمي أكن من الخاسرين) وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع فلا يكون دعاؤه وشفاعته الا بقضاء الله وقدره

ومشيئته وهو الذي يحيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب والدعاء من جملة الاسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى وإذا كان كذلك فالالتفات إلى الاسباب شرك في التوحيد . ومحو الاسباب ان تكون أسبابا نقص في العقل . والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى والله يقدر له من الاسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء والدعاء مشروع ان يدعو الاعلى الأدنى والأدنى الاعلى فطلب الشفاعة والدعاء من الانبياء كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الانبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء وله شفاعات يختص بها ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرين سلوا الله إلى الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله إلى الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة وقد قال لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه يأخى لا تنسى من دعائك فالتبى صلى الله عليه وسلم قد طاب من أمته أن يدعو له ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم بل أمره بذلك لهم كأمرة لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع أنه صلى الله عليه وسلم له مثل أجورهم في كل ما يعملونه فانه قد صح عنه أنه قال من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا . وهو داعي الأمة إلى كل هدى فله مثل أجورهم في كل ما تبعوه فيه وكذلك اذا صلوا عليه فان الله يصلي على أحدهم عشرين وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجورهم عليه وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال ما من رجل يدعو لآخيه بظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لآخيه بدعوة قال الملك الموكل به آمين ولك مثل ذلك وفي حديث آخر أسرع الدعاء دعوة غائب لغائب فالدعاء للغير يتفجع به الداعي والمندعو له وان كان الداعي دون المندعو له فدعاء المؤمن لآخيه يتفجع به الداعي والمندعو له فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى فهو نبيه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما

والمسؤول فعل ما ينفعهما بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه لكونه دعا اليه لاسيما ومن الادعية ما يؤمر بها العبد كما قال تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فأمره بالاستغفار ثم قال (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم اذ ذلك مما أمر الله به الرسول حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به بل ما أمر الله العبد امر ايجاب او استحباب ففعله هو عبادة لله وطاعة وقرينة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه واذا فعل ذلك كان اعظم احسان الله اليه وانعامه عليه بل اجل نعمة انعم الله بها على عباده أن هداهم للإيمان والايمان قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات وكلما ازداد العبد عملا للخير ازداد ايمانه وهذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله (صراط الذين انعمت عليهم) وفي قوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم) بل نعم الدنيا بدون الدين هل هي من نعمه ام لا فيه قولان مشهوران للعلماء من اصحابنا وغيرهم والتحقيق انها نعمة من وجه وان لم تكن نعمة تامة من وجه واما الانعام بالدين الذي ينبغي طلبه فهو ما أمر الله به من واجب ومستحب فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة الحقيقية عند اهل السنة اذ عندهم ان الله هو الذي انعم بفعل الخير والقدرية عندهم انما انعم بالقدره عليه الصالحة للضدين فقط والمقصود هنا ان الله لم يأمر مخلوقا ان يسأل مخلوقا الا ما كان مصلحة لذلك المخلوق إما واجب او مستحب فانه سبحانه لا يطلب من العبد الا ذلك فكيف يأمر غيره ان يطلب منه غير ذلك بل قد حرم على العبد ان يسأل العبد ماله الا عند الضرورة وان كان قصده مصلحة المأمور او مصلحته ومصلحة المأمور فهذا يثاب على ذلك وان كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا من نفسه اتي ومثل هذا السؤال لا يأمر الله به قط بل قد نهى عنه اذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته والله يأمرنا ان نعبده ونرغب اليه ويأمرنا ان نحسن الى عباده وهذا لم يقصد لاهذا ولا هذا فلم يقصد الرغبة الى الله ودعاءه وهو الصلاة ولا قصد الاحسان الى الخلق الذي هو الزكاة وان كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد وما يؤذن له فيه الا ترى انه قال في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم لا يسترقون . وان كان الاسترقاء جائزا وهذا قد بسطناه في غير

هذا الموضع والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائط يتقربون بها الى الله وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى حيث قال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى (واذا سألك عبادي عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعالم يرشدون) أى فليستجيبوا لى اذا دعوتهم بالأمر والنهى وليؤمنوا بى أن أجيب دعاءهم لى بالمسئلة والتضرع وقال تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه) وقال تعالى (أمن يحجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) وقال تعالى (يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان) وقد بين الله هذا التوحيد فى كتابه وحسم مواد الاشراك به حتى لا يخاف أحد غير الله ولا يرجسوا ولا يتوكل الا عليه وقال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون • ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا • انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم أولياءه (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال تعالى (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) فبين أن الطاعة لله ورسوله وأما الخشية لله وحده • وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سؤتنا الله من فضله ورسوله) ونضيره قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لامته ويحسم عنهم مواد الشرك اذ هذا تحقيق قولنا لا اله الا الله فان الاله هو الذى ملأ القلوب لكمال المحبة والتعظيم والاجلال والاكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال اجعلتنى لله ندا قل ماشاء وحده وقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لابن عباس

إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما أنت لاق فلو جهدت
 الخليفة على أن تفعلك لم تفعلك إلا بشئ كتبه الله لك ولو جهدت أن تضرك لم تضرك
 إلا بشئ كتبه الله عليك وقال أيضا لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم
 وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال لا تتخذوا
 قبري عبدا وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم وقال في مرضه لعن الله
 اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا قالت عائشة ولولا ذلك
 لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وهذا باب واسع ومع علم المؤمن أن الله رب
 كل شئ ومليكه فانه لا ينكر ما خلقه الله من الاسباب كما جعل المطر سببا لانبات النبات
 قال الله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها
 من كل دابة) وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلق بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء
 سببا لما يقضيه بذلك مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت فإن ذلك من الاسباب التي
 يرحمها الله بها ويثيب عليها المصلين عليه لكن ينبغي أن يعرف في الاسباب ثلاثة أمور
 • أحدها أن السبب المعين لا يستقل بالمعلول بل لابد معه من أسباب أخرى ومع هذا
 فإها موانع فإن لم يكمل الله الاسباب وبدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو سبحانه
 ما شاء كان وإن لم يشأ الناس وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله • الثاني أن لا يجوز
 أن يعتقد أن الشئ سبب إلا بعلم فمن أثبت شئ سببا بلا علم أو يخالف الشرع كان مبطلا
 مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء وقد ثبت في الصحيحين
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به
 من البخيل • الثالث أن الاعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شئ سببا إلا أن تكون
 مشروعة فإن العبادات مبناه على التوقيف فلا يجوز للانسان أن يشرك بالله فيدعو غيره
 وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض اغراضه ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة
 للشرعية وإن ظن ذلك فإن الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده اذا أشرك
 وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض اغراض الانسان فلا يحل له ذلك اذ
 المفسدة الخاصة بذلك أعظم من المصلحة الخاصة به اذ الرسول صلى الله عليه وسلم
 بعث بتحصيل المصالح وتكميلها • وتعطيل المناسد وتقليلها • فأمرا لله به فمصلحته راجحة
 وما نهى عنه فمفسدته راجحة • وهذه اجمل لها بسط لآتمله هذه الورقة والله أعلم

(تمت رسالة الواسطة ويلها رسالة رفع الملام عن الائمة الأعلام)

﴿رفع الملام عن الاثمة الاعلام﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام القدوة العالم العامل • الحبر الكامل • العلامة الاوحد الحافظ الزاهد العابد الورع الرباني المقدوف في قلبه النور الالهي والعلوم الرفيعة • والفنون البديعة الآخذ بازمة الشريعة • الناكس عن الآراء المذلة • والاهواء المضلة • المقتضى لآثار السلف علما وعملا • مقتدى الفرق • مجتهد العصر • أوحد الدهر • تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية أدام الله بركته ورفع في الدنيا والآخرة محله ودرجته

الحمد لله على آلائه • وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في أرضه وسماؤه • وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه • صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة الى يوم لقائه • وسلم تسليما

(وبعد) فيجب على المسلمين بعد موالاته الله ورسوله موالاته المؤمنين كما نفق به القرآن خصوصا العلماء الذين هم ورثة الانبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرأيتهم اذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فعلماؤها شرارها الا المسلمين فان علماءهم خيارهم فانهم خلفاء الرسول في أمته • والحجويون لما مات من سنته • بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا • وليعلم انه ليس أحد من الاثمة المقبولين عند الامة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل فانهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول وعلى ان كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه • وجميع الاعذار ثلاثة أصناف • أحدها عدم اعتقاده ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله • والثاني عدم اعتقاده ارادة تلك المسئلة بذلك القول • والثالث اعتقاده ان ذلك الحكم منسوخ

وهذه الاصناف الثلاثة تنفرع الى أسباب متعددة • السبب الاول أن لا يكون الحديث قد بلغه ومن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون علماً بموجبه واذا لم يكن قد بلغه وقد قال في تلك القضية بموجب ظاهر آية أو حديث آخر أو بموجب قياس أو

موجب استصحاب فقد يوافق ذلك الحديث ويخالفه أخرى . وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفا لبعض الأحاديث فإن الاحاطة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الامة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أو يفتي أو يقضى أو يفعل الشيء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً ويبلغه أولئك أو بعضهم لمن يبلغونه فينتهي علم ذلك الى من شاء الله من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ثم في مجلس آخر قد يحدث أو يفتي أو يقضى أو يفعل شيئاً ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم بكثرة العلم أو جودته

وأما احاطة واحد بجميع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا لا يمكن ادعاؤه قط واعتبر ذلك بالخلفاء الراشدين الذين هم أعلم الامة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأحواله خصوصاً الصديق رضى الله عنه الذى لم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً بل كان يكون معه في غالب الاوقات حتى انه يسمر عنده بالليل في أمور المسلمين وكذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنه صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ثم مع ذلك لما سئل أبو بكر رضى الله عنه عن ميراث الجدة قال مالك في كتاب الله من شيء وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء ولكن أسأل الناس فسألهم فقام المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة فشهدا ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاهما السدس وقد بلغ هذه السنة عمران بن حصين أيضاً وليس هؤلاء الثلاثة مثل أبى بكر وغيره من الخلفاء ثم قد احتصوا بعلم هذه السنة التي قد اتفقت الامة على العمل بها . وكذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن يعلم سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى واستشهد بالانصار وعمر أعلم ممن حدثه بهذه السنة ولم يكن عمر أيضاً يعلم ان المرأة ترث من دية زوجها بل يرى ان الدية للعاقبة حتى كتب اليه الضحاک بن سفيان وهو أمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض البوادي يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها فترك رأيه لذلك وقال لو لم نسمع بهذا لقضينا بخلافه ولم يكن يعلم حكم المجوس في الجزية حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب

ولما قدم سرخ وبلغه ان الطاعون بالشام استشار المهاجرين الاولين الذين معه ثم الانصار ثم مسامة الفتح فاشار كل عليه بما رأى ولم يخبره أحد بسنة حتى قدم عبد الرحمن بن عوف فاخبره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون

وانه قال اذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه وتذاكره وابتعدوا عن الناس في صلواته فلم يكن قد بلغته السنة في ذلك حتى قال عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يطلع ان الشك ويبنى على ما استيقن وكان مرة في السفر فهاجت ريح فجعل يقول من يحدثنا عن الريح قل أبو هريرة فبأنى وأنا في أخريات الناس فحدثت راحتي حتى أدركته

فحدثته بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم عند هبوب الريح

فهذه مواضع لم يكن يعلمها حتى بلغه ايها من ليس مثله ومواضع أخر لم يبلغه ما فيها من السنة ففقد فيها أو أفق فيها بغير ذلك مثل ما قضى في دية الاصابع أنها مختلفة بحسب منافعها وقد كان عند أبي موسى وابن عباس وهما دونه بكثير في العلم بان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه وهذه سواء يعني الابهام واختصر فبلغت هذه السنة لمعاوية رضي الله عنه في إمارته فقضى بها ولم يجد المسلمون بدا من اتباع ذلك ولم يكن عيبا في عمر رضي الله عنه حيث لم يبلغه الحديث وكذلك كان ينهى المحرم عن التطيب قبل الاحرام وقبل الافاضة الى مكة بعد رمي جرة العقبة هو وابنه عبد الله رضي الله عنهما وغيرهما من أهل الفضل ولم يبلغهم حديث عائشة رضي الله عنها طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه قبل ان يحرم ولحله قبل ان يطوف وكان يأمر لابس الخف ان يمسح عليه الى ان يخلعه من غير توقيت واتبعه على ذلك طائفة من الساف ولم تبلغهم أحاديث التوقيت التي صحت عند بعض من ليس مثاهم في العلم وقد روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة صحيحة وكذلك عثمان رضي الله عنه لم يكن عنده علم بان انتوفي عنهاز وجهها تدر في بيت الموت حتى حدثته القرينة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري بقضيتها ما توفي زوجها وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله فاخذ به عثمان واهدى له مرة صيد كان قد صيد لأجله فهم بما كلفه حتى أخبره على رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رد لما هدى له وكذلك على رضي الله عنه قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعتني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني غيره استحلقت

فاذا حان لي صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر وذكر حديث صلاة التوبة المشهور وأفتى هو وابن عباس وغيرهما بان المتوفي عنها اذا كانت حاملا تعتد بأبعد الاجلين ولم يكن قد بلغتهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة الاسمية حيث أفتاها النبي صلى الله عليه وسلم بان عدتها وضع حائها وأفتى هو وزيد وابن عمر وغيرهم بان المفوضة اذا مات عنها زوجها فلا مهر لها ولم تكن بلغتهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بر وع بنت واشق وهذا باب واسع يبلغ المنقول منه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً كثيراً جداً وأما المنقول منه عن غيرهم فلا يمكن الا حاطة به فانه الوفاء ف هؤلاء كانوا أعلم الامة وأفتوها وأتقوا وأفضلها فمن بعدهم أنقص نخفاء بعض السنة عليه أولى فلا يحتاج الى بيان فمن اعتقد ان كل حديث صحيح قد بلغ كل واحد من الائمة أو إماما معينا فهو مخطئ خطأ فاحشا قبيحا

ولا يقولن قائل الاحاديث قد دوت وجمعت نخفاؤها وال حال هذه بعيد لأن هذه الدواوين المشهورة في السنن انما جمعت بعد انقراض الائمة المتبعين ومع هذا فلا يجوز ان يدعى المحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معينة ثم لو فرض انحصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما في الكتب يعلمه العالم ولا يكاد ذلك يحصل لاحد بل قد يكون عند الرجل الدواوين الكثيرة وهو لا يحيط بما فيها بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين اعلم بالسنة من المتأخرين بكثير لان كثير مما بلغهم وصح عندهم قد لا يبلغنا الا عن مجهول أو باسناد منقطع أو لا يبلغنا بالكلية فكانت دواوينهم صدورهم التي تحوى أضعاف ما في الدواوين وهذا أمر لا يشك فيه من علم القضية ولا يقولن قائل من لم يعرف الاحاديث كلها لم يكن مجتهداً لانه ان اشترط في المجتهد علمه بجميع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وفعله فيما يتعلق بالاحكام فليس في الامة مجتهد وانما غاية العالم أن يعلم جمهور ذلك ومعظمه بحيث لا يخفى عليه الا القليل من التفصيل ثم انه قد يخالف ذلك القليل من التفصيل الذي يبلغه

السبب الثاني أن يكون الحديث قد بلغه لكنه لم يثبت عنده محدثه أو محدث محدثه أو غيره من رجال الاسناد مجهول عنده أو متهم أو سيء الحفظ واما لانه لم يرافه مسنداً بل منقطعاً أو لم يضبط لفظ الحديث مع أن ذلك الحديث قد رواه الثقات لغيره باسناد متصل بان يكون غيره يعلم من المجهول عنده الثقة أو يكون قد رواه غير أولئك المجروحين عنده أو قد اتصل من غير الجهة المنقطعة وقد ضبط الفاظ الحديث

بعض المحدثين الحفاظ أو لتلك الرواية من الشواهد والمتابعات ما يبين صحتها وهذا أيضا كثير جدا وهو في التابعين وتابعيهم إلى الأئمة المشهورين من بعدهم أكثر من العصر الأول أو كثير من القسم الأول فإن الأحاديث كانت قد انتشرت واشتهرت لكن كانت تبلغ كثيرا من العلماء من طرق ضعيفة وقد بلغت غيرهم من طرق صحيحة غير تلك الطرق فتكون حجة من هذا الوجه مع أنها لم تبلغ من خلفها من هذا الوجه ولهذا وجد في كلام غير واحد من الأئمة تعليق القول بموجب الحديث على صحته فيقول قولي في هذه المسئلة كذا وقد روى فيها حديث بكذا فإن كان صحيحا فهو قولي

السبب الثالث اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره مع قطع النظر عن طريق آخر سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معها عند من يقول كل مجتهد مصيب ولذلك أسباب منها أن يكون المحدث بالحديث يعتقد أحدهما ضعيفا ويعتقده الآخر ثقة ومعرفة الرجال علم واسع ثم قد يكون المصيب من يعتقده ضعفه لاطلاعه على سبب جرح وقد يكون الصواب مع الآخر لمعرفته أن ذلك السبب غير جرح أما لأن جنسه غير جرح أو لأنه كان له فيه عذر يمنع الجرح وهذا باب واسع وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الاجماع والاختلاف مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم ومنها أن لا يعتقد أن المحدث سمع الحديث ممن حدث عنه وغيره يعتقد أنه سمعه لأسباب توجب ذلك معرفة ومنها أن يكون للمحدث خالان حل استقامة وحال اضطراب مثل أن يختلط أو تحرق كبه فما حدث به في حال الاستقامة صحيح وما حدث به في حال الاضطراب ضعيف فلا يدري ذلك الحديث من أي النوعين وقد علم غيره أنه مما حدث به في حال الاستقامة ومنها أن يكون المحدث قد نسي ذلك الحديث فلم يذكره فيما بعد أو أنكر أن يكون حدثه معتقدا أن هذا علة توجب ترك الحديث ويرى غيره أن هذا مما يصح الاستدلال به والمسئلة معرفة ومنها أن كثيرا من الحجازيين يرون أن لا يحتاج بحديث عراقي أو شامي أن لم يكن له أصل بالحجاز حتى قال قائلهم نزلوا أحاديث أهل العراق بمنزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقيل لآخر سفیان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله حجة قال إن لم يكن له أصل بالحجاز فلا وهذا لاعتقادهم أن أهل الحجاز ضبطوا السنة فلم يشذ عنهم منها شيء وإن أحاديث العراقيين وقع فيها اضطراب

أوجب التوقف فيها وبعض العراقيين يرى أن لا يحتاج بحديث الشاميين وإن كان أكثر الناس على ترك التضعيف بهذا فحق كان الإسناد جيداً كان الحديث حجة سواء كان الحديث حجازياً أو عراقياً أو شامياً أو غير ذلك وقد صنف أبو داود السجستاني كتاباً في مفاريد أهل الأمصار من السنن يبين ما احتص به أهل كل مصر من الأمصار من السنن التي لا توجد مسندة عند غيرهم مثل المدينة ومكة والطائف ودمشق وحمص والكوفة والبصرة وغيرها إلى أسباب أخر غير هذه

السبب الرابع اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شر وطائخالفه فيها غيره مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسنة واشتراط بعضهم أن يكون المحدث فقيهاً إذا خالف قياس الأصول واشتراط بعضهم انتشار الحديث وظهوره إذا كان فيما تعم به البلوى إلى غير ذلك مما هو معروف في مواضعه

السبب الخامس أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكن نسيه وهذا يرد في الكتاب والسنة مثل الحديث المشهور عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجرد الماء فقال لا يصل حتى يجرد الماء فقال له عمار يا أمير المؤمنين أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الأبل فاجنبنا فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة وأما أنت فلم تصل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إنما يكفيك هكذا وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه فقال له عمر اتق الله يا عمار فقال ان شئت لم أحدث به فقال بل نوليك من ذلك ما تولايت فهذه سنة شهد بها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها وذكره عمار فلم يذكر وهو لم يكذب عماراً بل أمره أن يحدث به وأبلغ من هذا أنه خطب الناس فقال لا يزيد رجل على صداق أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبناته إلا ردته فقات امرأة يا أمير المؤمنين لم تحرمنا شيئاً أعطانا الله إياه ثم قرأت (أو آتيت أحداً من قنصاًراً) فرجع عمر إلى قولها وقد كان حافظاً للآية ولكن نسيها وكذلك ما روى أن علياً ذكر أن يوم الجمل شيئاً عهد بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يذكره حتى انصرف عن القتال وهذا كثير في السلف والخلف

السبب السادس عدم معرفته بدلالة الحديث بارة لكون اللفظ الذي في الحديث غريباً عنده مثل لفظ المزاجنة والحقيقة والخازنة والملازمة والمناجزة والغرر إلى غير ذلك من الكلمات الغريبة التي قد يختلف العلماء في تفسيرها وكالحديث المرفوع لاطلاق ولاعتق في الغلاق ففهم قد فسر والغلاق بالأكراه ومن يخلفه لا يعرف

هذا التفسير وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحمله على ما يفهمه في لغته بناء على ان الاصل بقاء اللغة كما سمع بعضهم آثارا في الرخصة في التبيذ فظنوه بعض أنواع المسكر لانه لغتهم وانما هو ما ينبذ لتحلية الماء قبل أن يشد فانه جاء مفسرا في أحاديث كثيرة صحيحة وسمعوا لفظ الخمر في الكتاب والسنة فاعتقدوه عصير العنب المشتد خاصة بناء على انه كذلك في اللغة وان كان قد جاء من الاحاديث أحاديث صحيحة تبين ان الخمر اسم لكل شراب مسكر وتارة لكون اللفظ مشتركا أو مجملا أو متردداً بين حقيقة ومجاز فيحمله على الاقرب عنده وان كان المراد هو الآخر كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر الحيط الأبيض والحيط الأسود على الحبل وكما حمل آخرون قوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم على اليد الى الابط وتارة لكون الدلالة من النص خفية فان جهات دلالات الاقوال متسعة جدا يتفاوت الناس في ادراكها وفهم وجوه الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه ثم قد يعرفها الرجل من حيث العموم ولا يتفطن لكون هذا المعنى داخلاً في ذلك العام ثم قد يتفطن له تارة ثم ينسأ بعد ذلك وهذا باب واسع جدا لا يحيط به الا الله وقد يقلط الرجل فيفهم من الكلام ما لا تحتمله اللغة العربية التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها

السبب السابع اعتقاده أن لا دلالة في الحديث والفرق بين هذا وبين الذي قبله ان الاول لم يعرف جهة الدلالة والثاني عرف جهة الدلالة لكن اعتقد انها ليست دلالة صحيحة بان يكون له من الاصول ما يرد تلك الدلالة سواء كانت في نفس الأمر صواباً أو خطأً مثل ان يعتقد ان العام المخصوص ليس بحجة وان المفهوم ليس بحجة وان العموم الوارد على سبب مقصور على سببه أو ان الأمر المجرد لا يقتضي الوجوب ولا يقتضي الفور أو ان المعرفة باللام لا عموم له أو ان الافعال المنفية لا تنفي ذواتها ولا جميع أحكامها أو أن المقتضى لا عموم له فلا يدعى العموم في المعمرات والمعاني الى غير ذلك مما يتسع القول فيه فان شطر أصول الفقه تدخل مسائل الخلاف منه في هذا القسم وان كانت الاصول المجردة لم تحط بجميع الدلالات تختلف فيها وتدخل فيه افراد اجناس الدلالات هل هي من ذلك الجنس أم لا مثل ان يعتقد ان هذا اللفظ المعين مجمل بان يكون مشتركاً لا دلالة تعين أحد معنيه أو غير ذلك

السبب الثامن اعتقاده ان تلك الدلالة قد عارضها ما دل على انها ليست مرادة مثل

معارضة العام بخاص أو المطلق بمقتيد أو الامر المطلق بما ينبغي الو جوب أو الحقيقة بما يدل على المجاز الى أنواع المعارضات وهو باب واسع أيضا فان تعارض دلالات الاقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خضم

السبب التاسع اعتقاد ان الحديث معارض بما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله ان كان قابلا للتأويل بما يصلح ان يكون معارضا بالاتفاق مثل آية أو حديث آخر أو مثل اجماع وهذا نوعان أحدهما ان يعتقد ان هذا المعارض راجح في الجملة فيتمتع أحد الثلاثة من غير واحد منها وتارة يعين أحدها بان يعتقد انه منسوخ أو انه مؤول ثم قد يغلط في النسخ فيعتقد المتأخر متقدما وقد يغلط في التأويل بان يحمل الحديث على ما لا يحتمله لفظه أو هناك ما يدفعه وإذا عارضه من حيث الجملة فقد لا يكون ذلك المعارض دالا وقد لا يكون الحديث المعارض في قوة الاول اسنادا أو متا وتجيء هنا الاسباب المتقدمة وغيرها في الحديث الاول والاجماع المدعى في الغالب انما هو عدم العلم بالمخالف وقد وجدنا من أعيان العلماء من صاروا الى القول بأشياء متمسكهم فيها عدم العلم بالمخالف مع ان ظاهر الأدلة عندهم يقتضي خلاف ذلك لكن لا يمكن العالم أن يتبدى قولاً لم يعلم به قائلًا مع علمه بان الناس قد قالوا خلافه حتى ان منهم من يعاق القول فيقول ان كان في المسئلة اجماع فهو أحق ما يتبع والا فقول عندى كذا وكذا وذلك مثل من يقول لا أعلم أحداً أجاز شهادة العبد وقبولها محفوظ عن عليّ وأنس وشرح وغيرهم ويقول أجمعوا على ان المعتق بعينه لا يرث وتورثه محفوظ عن عليّ وابن مسعود وفيه حديث حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول آخر لا أعلم أحداً أو جيب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وإيجابها محفوظ عن أبي جعفر الباقر وذلك ان غاية كثير من العلماء ان يعلم قول أهل العلم الذين أدركهم في بلاده وأقوال جماعات غيرهم كما تجمد كثيراً من المتقدمين لا يعلم الا قول المدنيين والكوفيين وكثيرا من المتأخرين لا يعلم الا قول اثنين أو ثلاثة من الائمة المتبوعين وما خرج عن ذلك فانه عنده يخالف الاجماع لانه لا يعلم به قائلًا وما زال يقرع سمعه خلافه فهذا لا يمكنه ان يصير الى حديث يخالف هذا خوفاً ان يكون هذا خلافاً للاجماع أو لاعتقاده انه مخالف للاجماع والاعظم الحجج وهذا عذر كثير من الناس في كثير مما يتركونه وبعضهم معذور فيه حقيقة وبعضهم معذور فيه وليس في الحقيقة بمعذور وكذلك كثير من الاسباب قبله وبعده

السبب العاشر معارضته بما يدل على ضعفه أو نسخه أو تأويله مما لا يعتقده غيره أو جنسه معارض أولاً يكون في الحقيقة معارضا راجحاً كمعارضة كثير من الكوفيين الحديث الصحيح بظاهر القرآن واعتقادهم أن ظاهر القرآن من العموم ونحوه مقدم على نص الحديث ثم قد يعتقد ما ليس بظاهر ظاهراً لما في دلالات القول من الوجوه الكثيرة ولهذا ردوا حديث الشاهد واليمين وإن كان غيرهم يعلم أن ليس في ظاهر القرآن ما يمنع الحكم بشاهد ويمين ولو كان فيه ذلك فالسنة هي المفسرة للقرآن عندهم وللشافعي في هذه القاعدة كلام معروف ولأحمد فيها رسالته المشهورة في الرد على من يزعم الاستغناء بظاهر القرآن عن تفسير سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أورد فيها من الدلائل ما يضيّق هذا الموضع عن ذكره ومن ذلك دفع الخبر الذي فيه تخصيص لعموم الكتاب أو تقييد لمطلقه أو فيه زيادة عليه واعتقاد من يقول ذلك أن الزيادة على النص كتقييد المطلق نسخ وإن تخصيص العام نسخ ومعارضة طائفة من المدنيين الحديث الصحيح بعمل أهل المدينة بناء على أنهم مجمعون على مخالفة الخبر وإن اجتمعهم حجة مقدمة على الخبر كمخالفة أحاديث خيار المجلس بناء على هذا الأصل وإن كان أكثر الناس قد يشبّهون أن المدنيين قد اختلفوا في تلك المسئلة وإنهم لو اجتمعوا وخالفهم غيرهم لكانت الحجة في الخبر ومعارضة قوم من البلدين بعض الأحاديث بالقياس الجلي بناء على أن القواعد الكلية لا تنقض بمثل هذا الخبر إلى غير ذلك من أنواع المعارضات سواء كان المعارض مصيباً أو مخطئاً

فهذه الأسباب العشرة ظاهرة وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها فإن مدارك العلم واسعة ولم نطلع نحن على جميع ما في بواطن العلماء والعالم قد يبدي حجته وقد لا يبديها وإذا أبداها فقد تبانينا وقد لا تبانينا وإذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجاجه وقد لا ندركه سواء كانت الحجة صواباً في نفس الأمر أم لا لكن نحن وإن جوزنا هذا فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عبادته بخلاف رأى العالم والدليل الشرعي يمتنع أن يكون خطأ إذا لم يعارضه دليل آخر ورأى العالم ليس كذلك ولو كان العمل بهذا التجوز جائزاً لما بقي في أيدينا شيء من الأدلة التي يجوز

فيها مثل هذا لكن الغرض انه في نفسه قد يكون معذوراً في تركه له ونحن معذورون في تركنا لهذا الترك وقد قال سبحانه (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) الآية وقال سبحانه (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وليس لاحد ان يعارض الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بقول أحد من الناس كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سأل عن مسألة فاجابه فيها بحديث فقال له قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر وإذا كان الترك يكون لبعض هذه الأسباب فإذا جاء حايث يصيح فيه تاييل أو تحريم أو حكم فلا يجوز أن يعتقد ان التارك له من العلماء الذين وصفنا أسباب تركهم يعاقب لكونه حلل الحرام أو حرم الحلال أو حكم بغير ما أنزل الله وكذلك ان كان في الحديث وعيد على فعل من لعنة أو غضب أو عذاب ونحو ذلك فلا يجوز أن يقال ان ذلك العالم الذي أباح هذا أو فعله داخل في هذا الوعيد وهذا مما لا نعلم بين الأمة فيه خلافاً الاشياء يحكى عن بعض معتزلة بغداد مثل المريسي وأضرابه أنهم زعموا ان المخطيء من المجتهدين يعاقب على خطئه وهذا لأن حقوق الوعيد من فعل المحرم مشروط بعلمه بالتحريم أو بتمكنه من العلم بالتحريم فان من نشأ ببادية أو كان حديث عهد بالاسلام وفعل شيئاً من المحرمات غير عالم بتحريمها لم يأنم ولم يحد وان لم يستند في استيلائه الى دليل شرعي فمن لم يباغه الحديث المحرم واستند في الإباحة الى دليل شرعي أولى ان يكون معذوراً ولهذا كان هذا مأجوراً محموداً لأجل اجتهاده قال الله سبحانه (وداود وسليمان) الى قوله (وعلمنا) فاختص سليمان بالثبوت وأثنى عليهما بالحكم واللم

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر فتبين ان المجتهد مع خطئه له أجر وذلك لأجل اجتهاده وخطئه مغفور له لأن درك الصواب في جميع اعيان الاحكام اما متعذراً أو متعسراً وقد قال تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحايبه عام الخندق لا يصليان أحد العصر الا في بني قريظة فأدركم صلاة العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي الا في بني قريظة وقال بعضهم لم يرد منا هذا فصلوا في الطريق فلم يعب واحدة من الطائفتين فالاولون تمسكوا

بعموم الخطاب فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم فإن المقصود المبادرة الى القوم وهي مسئلة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشهورا هل يخص العموم بالقياس ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا أصحوب وكذلك بلال رضي الله عنه لما باع الصاعين بالصاع امره النبي صلى الله عليه وسلم برده ولم يرتب على ذلك حكم الكل الربا من التفسير واللعن والتغليظ لعدم علمه كان بالتحريم وكذلك عدى بن حاتم وجماعة من الصحابة لما أعتقدوا ان قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) معناه الجبال البيض والسود فكان أحدهم يجعل عقابين أبيض وأسود ويأكل حتى يتبين أحدهما من الآخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي إن وسادك اذ العريض انما هو بياض النهار وسواد الليل فاشار الى عدم فقهه لمعنى الكلام ولم يرتب على هذا الفعل ذم من أفطر في رمضان وإن كان من أعظم الكبائر بخلاف الذين أفطروا المشجوج في البرد بوجوب الغسل فاغتسل فمات فإنه قال قتلوه قتلهم الله هلاسلوا اذ لم يعلموا انما شفاء النعمى السؤال فإن هؤلاء اخطوا بغير احتياط اذ لم يكونوا من أهل العلم وكذلك لم يوجب على أسامة بن زيد قودا ولادية ولا كفارة لما قتل الذي قال لا إله الا الله في غزوة الحرة فإنه كان معتقدا جواز قتله بناء على أن هذا الاسلام ليس بصحيح مع أن قتله حرام وعمل بذلك السلف وجمهور الفقهاء في أن ما استباحه أهل البغي من دماء أهل العدل يتأويل سائغ لم يضمن بقود ولادية ولا كفارة وإن كان قتلهم وقتلهم محرما وهذا الشرط الذي ذكرناه في حقوق الوعيد لا يحتاج أن يذكر في كل خطاب لاستقرار العلم به في القلوب كما أن الوعد على العمل مشروط باخلاص العمل لله وبعدم جبوط العمل بالردة ثم ان هذا الشرط لا يذكر في كل حديث فيه وعد ثم حيث قدر قيام الموجب للوعيد فإن الحكم يتخلف عنه لمانع وموانع لحوق الوعيد متعددة منها التوبة ومنها الاستغفار ومنها الحسنات الماحية للسيئات ومنها بلاء الدنيا ومصائبها ومنها شفاعة شفيع مطاع ومنها رحمة أرحم الراحمين فاذا عدت هذه الاسباب كلها ولم تعد الا في حق من عصى وتمرد وشرده على الله شراد البعير على أهله فهناك يلحق الوعيد به وذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه أما أن كل شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به فهذا باطل قطعاً لتوقف ذلك المسبب على وجود

الشرط وزوال جميع الموانع

وإيضاح هذا أن من ترك العمل بمحدث فلا يخلو من ثلاثة أقسام إما أن يكون تركاً جائزاً باتفاق المسلمين كالترك في حق من لم يبلغه ولا قصر في الطلب مع حاجته إلى الفتيا أو الحكم كما ذكرناه عن الخلفاء الراشدين وغيرهم فهذا لا يشك مسلم أن صاحبه لا يلحقه من معرة الترك شيء وإما أن يكون تركاً غير جائز فهذا لا يكاد يصدر من الأئمة إن شاء الله تعالى لكن الذي قد يخاف على بعض العلماء أن يكون الرجل قاصراً في ذلك تلك المسئلة فيقول مع عدم أسباب القول وإن كان له فيها نظر واجتهاد أو يقصر في الاستدلال فيقول قبل أن يبلغ النظر نهايته مع كونه متمسكاً بحجة أو يطلب عليه عادة أو غرض يمنع من استيفاء النظر لينظر فيما يعارض ما عنده وإن كان لم يقل إلا بالاجتهاد والاستدلال فإن الحد الذي يجب أن ينتهي إليه الاجتهاد قد لا ينضبط للمجتهد

ولهذا كان العلماء يخافون مثل هذا خشية أن لا يكون الاجتهاد المقدر قد وجد في تلك المسئلة المخصوصة فهذه ذنوب لكن لحوق عقوبة الذنب بصاحبه إنما تنال لمن لم يتب وقد يمحوها الاستغفار والاحسان والبلاء والشفاعة والرحمة ولم يدخل في هذا من يغلبه الهوى ويصرعه حتى ينصر ما يعلم أنه باطل أو من يجزم بصواب قول أو خطئه من غير معرفة منه بدلائل ذلك القول نقياً واثباتاً فإن هذين في النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة فالأول الذي في الجنة فرجل علم الحق ف قضى به وأما اللذان في النار فرجل قضى للناس على جهل ورجل علم الحق وقضى بخلافه والمفتون كذلك لكن لحوق الوعيد للشخص المعين أيضاً له موانع كما بيناه فلو فرض وقوع بعض هذا من بعض الأعيان من العلماء المحمودين عند الأمة مع أن هذا بعيد أو غير واقع لم يعد أحد منهم أحد هذه الأسباب ولو وقع لم يقدح في إمامتهم على الإطلاق فإنا لا نعتقد في القوم المعصمة بل نجوز عليهم الذنوب ونرجو لهم مع ذلك أعلى الدرجات لما اختصهم الله به من الأعمال الصالحة والأحوال السنية وأنهم لم يكونوا مصرين على ذنب وليسوا بأعلى درجة من الصحابة رضي الله عنهم والقول فيهم كذلك فيما اجتهدوا فيه من الفتاوى والقضايا والدماء التي كانت بينهم وغير ذلك ثم أنهم مع العلم بأن التارك الموصوف معذور بل مأجور لا يمتنع أن تتبع الأحاديث الصحيحة التي لأنهم لها معارضا يدفعها وإن لم تقدر وجوب العمل بها على

الامة وو جوب تبليغها وهذا مما لا يختلف العلماء فيه

ثم هي منقسمة الى مادلالته قطعية بان يكون قطعي السند والتمن وهو مايقنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ويقنا انه اراد به تلك الصورة والى مادلالته ظاهرة غير قطعية فاما الاول فيجب اعتقاد مو جبه علماء وعملوا وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء في الجملة واتما قد يختلفون في بعض الاخبار هل هو قطعي السند أو ليس بقطعي وهل هو قطعي الدلالة أو ليس بقطعي مثل اختلافهم في خبر الواحد الذي تلقته الامة بالقبول والتصديق أو الذي اتفقت على العمل به فعند عامة الفقهاء واكثر المتكلمين انه يفيد العلم وذهب طوائف من المتكلمين الى انه لا يفيد ذلك والخبر المروى من عدة جهات يصدق بعضها بعضا من أناس مخصوصين قد تفيد العلم اليقيني لمن كان عالما بتلك الجهات وبحال أولئك المخبرين وبقرائن وضمان تحتف بالخبر وان كان العلم بذلك الخبر لا يحصل لمن لم يشركه في ذلك

ولهذا كان علماء الحديث الجهابذة فيه المتبحرون في معرفته قد يحصل لهم اليقين التام باخبار وان كان غيرهم من العلماء قد لا يظن صدقها فضلا عن العلم بصدقها ومبنى هذا على أن الخبر المفيد للعلم يفيد من كثرة المخبرين تارة ومن صفات المخبرين أخرى ومن نفس الاخبار به أخرى ومن نفس ادراك المخبر له أخرى ومن الأمر المخبر به أخرى فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم لما هم عليه من الديانة والحفظ الذي يؤمن معه كذبهم أو خطأهم وأضعاف ذلك العدد من غيرهم قد لا يفيد العلم هذا هو الحق الذي لا ريب فيه وهو قول جمهور الفقهاء والمحدثين وطوائف من المتكلمين

وذهب طوائف من المتكلمين وبعض الفقهاء الى ان كل عدد أفاد العلم خبرهم بقضية أفاد خبر مثل ذلك العدد العلم في كل قضية وهذا باطل قطعاً

لكن ليس هذا موضع بيان ذلك فاما تأثير القرائن الخارجة عن المخبرين في العلم بالخبر فلم نذكره لان تلك القرائن قد تفيد العلم ولو تجردت عن الخبر وإذا كانت بنفسها قد تفيد العلم لم تجعل تابعة للخبر على الاطلاق كما لم يجعل الخبر تابعا لها بل كل منهما طريق الى العلم تارة والى الظن أخرى وان اتفق اجماع ما يوجب العلم به منهما أو اجتماع موجب العلم من أحدهما وموجب الظن من الآخر وكل من كان بالاخبار أعلم قد يقطع بصدق اخبار لا يقطع بصدقها من ليس مثله وتارة يختلفون في كون الدلالة قطعية لاختلافهم في ان ذلك الحديث هل هو نص أو ظاهر وإذا كان ظاهرا فهل فيه

ما ينفي الاحتمال المرجوح أولاً وهذا أيضاً باب واسع فقد يقطع قوم من العلماء بدلالة
أحاديث لا يقطع بها غيرهم إما لعلمهم بأن الحديث لا يحتمل إلا تلك المعنى أو لعلمهم
بأن المعنى الآخر يمنع حمل الحديث عليه أو لغير ذلك من الأدلة الموجبة للقطع
وأما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الأحكام الشرعية باتفاق العلماء
المعتبرين فإن كان قد تضمن حكماً علمياً مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه

فذهب طوائف من الفقهاء إلى أن خبر الواحد العدل إذا تضمن وعيداً على فعل
فانه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ولا يعمل به في الوعيد إلا أن يكون قطعياً
وكذلك لو كان المتن قطعياً لكن الدلالة ظاهرة وعلى هذا حملوا قول عائشة رضي الله
عنها أبلغى زيداً أنه قد ابتل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب
قالوا فعائشة ذكرت الوعيد لأنها كانت عالمة به ونحن نعمل بخبرها في التحريم وإن
كنا لا نقول بهذا الوعيد لأن الحديث إنما ثبت عندنا بخبر واحد وحجة هؤلاء أن
الوعيد من الأمور العامة فلا تثبت إلا بما يفيد العلم وأيضاً فإن الفعل إذا كان مجتهداً
في حكمه لم يلحق فعله الوعيد فبني قول هؤلاء على أن يحثج بأحاديث الوعيد في تحريم
الأفعال مطلقاً ولا يثبت بها الوعيد إلا أن تكون الدلالة قطعية. ومثله احتجاج أكثر
العلماء بالقرآن التي صحت عن بعض الصحابة مع كونها ليست في مصحف عثمان
رضي الله عنه فإنها تضمنت عملاً وعلماً وهي خبر واحد صحيح فاحتجوا بها في ثبات
العمل ولم يثبتوها قرآناً لأنها من الأمور العامة التي لا تثبت إلا بيقين

وذهب لا كثرون من الفقهاء وهو قول عامة السلف إلى أن هذه الأحاديث حجة
في جميع ما تضمنته من الوعيد فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين
بعدهم ما زالوا يثبتون بهذه الأحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل ويصرحون بالحق
الوعيد الذي فيها بفضل في الجملة وهذا منتشر عنهم في أحاديثهم وقضاياهم وذلك لأن
الوعيد من جهة الأحكام الشرعية التي ثبتت بالدلالة الظاهرة تارة وبالدلالة القطعية أخرى
فانه ليس المطلوب اليقين التام بالوعيد بل المطلوب الاعتقاد الذي يدخل في اليقين والظن
الغالب كما أن هذا هو المطلوب في الأحكام العمالية ولا فرق بين اعتقاد الإنسان أن
الله حرم هذا وأوعده فعله بالعقوبة الجملة وعتاده أن الله حرمه وأوعده عليه
بعقوبة معينة من حيث أن كلا منهما إخبار عن الله فكما جاز الإخبار عنه بالأول
بمطابق الدليل فكذلك الإخبار عنه به في لو قال فإل العمل بها في الوعيد أو أكد

كان صحيحا ولهذا كانوا يسهلون في أسانيد أحاديث الترهيب والترهيب مالا يسهلون في أسانيد أحاديث الأحكام لأن اعتقاد الوعيد يحمل النفوس على الترك فإن كان ذلك الوعيد حقا كان الانسان قد نجا وإن لم يكن الوعيد حقا بل عقوبة الفعل أخف من ذلك الوعيد لم يضر الانسان اذا ترك ذلك الفعل خطأ في اعتقاده زيادة العقوبة لأنه ان اعتقد نقص العقوبة فقد يخطئ أيضا وكذلك ان لم يعتقد في تلك الزيادة نفا ولا إنباتا فقد يخطئ فهذا الخطأ قد يهون الفعل عنده فيقع فيه فيستحق العقوبة الزائدة ان كانت ثابتة أو يقوم به سبب استحقاق ذلك فإذا الخطأ في الاعتقاد على التقديرين تقدير اعتقاد الوعيد وتقدير عدمه سواء والنجاة من العذاب على تقدير اعتقاد الوعيد أقرب فيكون هذا التقدير أولى

وبهذا الدليل رجع عامة العلماء الدليل الحاضر على الدليل الميسر وسلكه كثير من الفقهاء طريقة الاحتياط في كثير من الأحكام بناء على هذا وأما الاحتياط في الفعل فكالمجمع على حسنه بين العقلاء في الجملة فإذا كان خوفه من الخطأ ينفي اعتقاد الوعيد مقابلا لخوفه من الخطأ في عدم هذا الاعتقاد بقي الدليل موجب لاعتقاده والنجاة الحاصلة في اعتقاده دليلين سنيين عن المعارض

وليس لقائل أن يقول عدم الدليل القطعي على الوعيد دليل على عدمه كعدم الخبر المتواتر على القراءات الزائدة على ما في النصيحف لأن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول عليه ومن قطع بنفي شيء من الأمور العامة لعدم الدليل القاطع على وجودها كما هو طريقة طائفة من المتكلمين فهو مخطئ خطأ بينا لكن ذاع عنه أن وجود الشيء مستلزم لوجود الدليل وعندها عدم الدليل يقتضي عدم الشيء مستلزما لأن عدم اللازم دليل على عدم المازوم وقد عرفت أن الدواعي متوفرة على نقل كتاب مذهبنا فإنه لا يجوز على الأمة كتمان ما يحتاج إلى نقله حجة عامة فمما ينتقل نقلا عاما صلاة سادسة ولا سورة أخرى عامة يقينا عدم ذلك وبب الوعيد ليس من هذا الباب فإنه لا يجب في كل وعيد على فعل أن ينتقل نقلا متواترا كما لا يجب ذلك في حكم ذلك الفعل ثبت أن الأحاديث المتضمنة للوعيد يجب العمل بها في مقتضاها باعتقاد أن فاعل ذلك الفعل متوعد بذلك الوعيد لكن حقوق الوعيد به متوقف على شروط وله مراتب

وهذه القاعدة تظهر بوضوح • منها أنه قد سح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله آكل الربوا وموكله وشاهديه وكتبه • وصح عنه من غير وجه أنه قال من

باع صاعين بصاع يدا بيد أوتاه عين الربا كما قال البر بالبر ربا الآهاوها الحديث وهذا
يوجب دخول نوعي الربا ربا الفضل وربا النسيئة في الحديث ثم ان الذين بلغهم قول
النبي صلى الله عليه وسلم انما الربا في النسيئة فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يدا بيد
مثل ابن عباس رضي الله عنه وأصحابه أبي الشعماء وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير
وعكرمة وغيرهم من أئمة السالكين الذين هم من صفوة الأمة علماء وعملا لا يحل لمسلم
أن يعتقد أن أحدا منهم بعينه أو من قلده بحيث يجوز تقليده تبليغهم لعنة آكل الربا
لأنهم فعلوا ذلك متأولين تأويلا سائغا في الجملة

وكذلك ما نقل عن طائفة من فضلاء المدنيين من إتيان الحاش مع مارواه أبو
داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أتى امرأة في دبرها فهو كافر بما أنزل
على محمد أئمة محل مسلم أن يقول ان فلانا وفلانا كانا كافرين بما أنزل على محمد .
وكذلك قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه لعن في الخمر عشرة عاصرا الخمر ومعتصرها
وشاربها . وثبت عنه من وجوه أنه قال كل شراب أسكر فهو خمر وقال كل مسكر
خمر . وخطب عمر رضي الله عنه على منبره صلى الله عليه وسلم فقال بين المهاجرين
والأنصار خمر ما خمر العتق وأنزل الله تحريم الخمر وكان سبب نزولها ما كانوا
يشربونه في المدينة ولم يكن لهم شراب الا الفضيخ لم يكن لهم من خمر الاعناب شيء .
وقد كان رجال من أفضل الأمة علماء وعملا من الكوفيين يعتقدون أن لآخر الأمن
العنب وان ماسوى العنب والخمر لا يحرم من نبيذ هذه الامم مقدار ما يسكر ويشربون
ما يستقدون حبه فلا يجوز أن يقال ان هؤلاء مندرجون تحت الوعيد لما كان لهم من
النذر الذي تناولوا به أو لموانع أخر فلا يجوز أن يقال ان الشراب الذي شربوه ليس
من الخمر الممنون شاربها فن سبب النول العام لا بد أن يكون داخل فيه ولم يكن بالمدينة
خمر من العنب ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن البائع للخمر وقد باع بعض
الصحابة خمر حتى بلغ عمر فقال قتلى الله فلان الميعم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها ولم يكن يعلم
ان بيعها محرم ولم يمنع عمر رضي الله عنه علمه بعدم علمه أن يبين جزاء هذا الذنب
ليتناها هو وغيره عنه بعد بلوغ العلم به وقد لعن العاصر والمعتصر . وكثير من
الفتهاء يجوزون للرجل أن يعصر لغيره عنباً وان علم ان من نيته أن يتخذ خمر فهذا
نهي في امن العاصر مع العلم أن المذخور تخلف السكم عنه لما في وكذلك لعن الواصلة

والموصولة في عدة أحاديث صحاح

ثم من الفقهاء من يكرهه فقط وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي يشرب في آنية الفضة انما يجر جر في بطنه نار جهنم ومن الفقهاء من يكرهه كراهة تنزيه

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فاقتا ل والمقتول في النار يجب العمل به في تحريم قتال المؤمنين بغير حق ثم انا نعلم ان أهل الجبل وصفين لبسوا في النار لأنهما عذرا وتأويا في القتال وحسنات منعت المقتضى أن يعمل عمله . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء ينعه ابن السبيل فيقول الله له اليوم أمتعتك فضلي كما منعت فضل ماءم تعمل يدك . ورجل يبيع اماما لا يبايعه الا لدنيا ان أعطاه رضى وان لم يعطه سخط . ورجل حلف على ساعة بعد العصر كاذبا لقد أعطى بها أكثر مما أعطى فهذا وعيد عظيم لمن منع فضل مائه مع ان طائفة من العلماء يجوزون للرجل أن يمنع فضل مائه فلا يمنعنا هذا خلاف أن نعتقد تحريم هذا محتجين بالحديث ولا يمنعنا محيي الحديث أن نعتقد أن المتأول معذور في ذلك لا يلحقه هذا الوعيد

وقال صلى الله عليه وسلم لمن الله المحلل والمحلل له وهو حديث صحيح قد روى عنه من غير وجه وعن أصحابه مع ان طائفة من العلماء صححوا نكاح الخال مطلقا ومنهم من صححه اذا لم يشترط في العقد ولهم في ذلك أعذار معروفة فن قياس الاصول عند الاول ان النكاح لا يبطل بالشروط كما لا يبطل بجهالة أحد العوضين وقياس الاصول عند الثاني ان العقود المجردة عن شرط مقترن لا تغير أحكام العقود ولم يبلغ هذا الحديث من قال هذا القول . هذا هو الظاهر فان كتبهم المتقدمة لم تتضمنه ولو بلغهم لذكروا آخذين به أو محيين عنه أو بائعهم وتؤولوه أو اعتقدوا نسخه أو كان عندهم ما يعارضه فنحن نعلم ان مثل هؤلاء لا يصيبه هذا الوعيد لونه فعل التحليل معتقدا حله على هذا الوجه ولا يمنعنا ذلك أن نعلم ان التحليل سبب لهذا الوعيد وان تخلف في حق بعض الاشخاص لقوات شرط ووجود مانع

وكذلك استلحاق معاوية رضى الله عنه زياد بن أبيه المولود على فرش حمار ابن كلداء لكون أبي سفيان كان يقول انه من نطفته مع أنه صلى الله عليه وسلم قد قال من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فاجنة عليه حرام وقال من ادعى الى

غير أبيه أو تولى غير مواله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه
 صرفا ولا عدلا حديث صحيح وقضى أن الولد للفراش وهو من الأحكام المجمع عليها
 فتحن نعلم أن من انتسب إلى غير الأب الذي هو صاحب الفراش فهو داخل في كلام
 الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنه لا يجوز أن يمين أحد دون الصحابة فضلا عن
 الصحابة فيقال إن هذا الوعيد لاحق به لا يمكن أنه لم يبلغهم قضاء رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بأن تولد للفراش واعتقدوا أن تولد لمن أحبل أمه واعتقدوا أن أبا سفيان
 هو المحبل لسمية أم زياد فان هذا حكم قد يخفى على كثير من الناس لا سيما قبل
 انتشار السنة مع أن السادة في الجاهلية كانت هكذا أو لغير ذلك من الموانع المانعة
 هذا يقتضى الوعيد أن يعمل عمه من حسنات تمحو السيئات وغير ذلك وهذا باب
 واسع فإنه يدخل فيه جميع الأمور محرمة بكتاب أو سنة إذا كان بعض الأمة لم
 يبلغهم ألة التحريم فاستحوها أو عارض تلك الأدلة عندهم أدلة أخرى رأوا
 رجحانها عنها مجتهدين في ذلك الترجيح بحسب عقولهم وعندهم فإن التحريم له أحكام
 من التثيم ونه والقرينة والتمسق وغير ذلك لكن لها شروط وموانع ففقد يكون
 التحريم ثبت وهذه الأحكام منتفية لقوات شرطها أو وجود مانع أو يكون التحريم منتفيا
 في حق ذلك الشخص مع ثبوته في حق غيره

ونما رد ذلك الكلام لأن الناس في هذه مسئلة قولين أحدهما وهو قول عامة السلف
 والفقهاء أن حكم الله وحد وأن من خالفه باجتهاد سائق مخطئ معذور مأجور فعلى
 هذا يكون ذلك الفعل الذي فعله المتأول بعينه حراما لكل لا يترتب أثر التحريم عليه
 لعنوا الله عنه فإنه لا يكف نفسه لاوسمها

والثاني في حقه ليس بمحرمة لعدم بوج دلائل التحريم له وإن كان حراما في حق غيره
 فتكون نفس حركة ذلك الشخص ليست حراما والخلاف متقارب وهو شبهه بالاختلاف
 في العبارة فهذا هو الذي يمكن أن يقال في أحاديث الوعيد إذا صادفت محل خلاف إذ
 العلماء مجمعون على الاحتجاج في تحريم الفعل المتوعد عليه سواء كان محل وفق أو
 خلاف بل أكثر ما يحتاجون إليه الاستدلال بها في موارد الخلاف لكن اختلفوا في
 الاستدلال بها على الوعيد إذ لم تكن قضية على ما ذكرناه

فإن قيل فهل لا قلتم أن أحاديث الوعيد لا تناول محل الخلاف وإنما تناول محل
 توافق وكل فعل لعن فعله أو توعد بغضب أو عقاب حمل على فعل اتفق على تحريمه

لثلاثا يدخل بعض المجتهدين في الوعيد اذا فعل ما اعتقد تحاييله بل المعتقد أبلغ من الفاعل
اذ هو الأمر له بالفعل فيكون قد الحق به وعيد الامن أو الغضب بطريق الاستلزام
قلنا الجواب من وجوه . أحدها أن جنس التحريم اما أن يكون ثابتا في محل خلاف
أولا يكون فان لم يكن ثابتا في محل خلاف قط نزم أن لا يكون حراما الا ما أجمع على تحريمه
فكل ما اختلف في تحريمه يكون حلالا وهذا مخالف لأجماع الأمة وهو معلوم البطلان
بالاضطرار من دين الاسلام وإن كان ثابتا ولو في صورة فلمستحل لذلك الفعل المحرم
من المجتهدين اما أن يلحقه ذم من حلال الحرام أو فعنه وعقوبة أولا فان قيل انه يلحقه
أو قيل انه لا يلحقه فكذلك التحريم ثابت في حديث الوعيد اتفاقا والوعيد الثابت في
محل الخلاف على ما ذكرناه من التفصيل بل الوعيد انما جاء على الفاعل وعقوبة محال
الحرام في الاصل أعظم من عقوبة فاعله من غير اعتقاد قذا جز ان يكون التحريم ثابتا
في صورة الخلاف ولا يلحق المحال المجتهد عقوبة ذلك الاحلال للحرام لكونه معذورا
فيه فلأن لا يلحق الفاعل وعيد ذلك الفعل أولى وأحرى وكما نزم دخول المجتهد
تحت حكم هذا التحريم من الذم والعقاب وغير ذلك لم يازم دخوله تحت حكمه من
الوعيد اذ ليس الوعيد الا نوعا من الذم والعقاب فان جز دخوله تحت هذا الجنس فما
كان الجواب عن بعض أنواعه كان جوابا عن البعض الآخر ولا يفتى الفرق بقية الذم
وكثرة أو شدة العقوبة وخفتها فان المحذور في قليل الذم والعقاب في هذا المقام
كالمحذور في كثيره فان المجتهد لا يلحقه قليل ذك ولا كثيره بل يلحقه ضد ذلك من
الاجر والثواب

الثاني ان كون حكم الفعل مجمعا عليه أو مختلفا فيه أمور خارجة عن الفعل وصفاته
وانما هي أمور اضافية بحسب ما عرض لبعض العلماء من عدم العلم واللفظ العام ان أريد
به الخاص فلا بد من نصب دليل يدل على التخصيص إما مقترن بالخطاب عند من لا
يجوز تأخير البيان وإما موسع في تأخيره الى حين الحاجة عند الجمهور ولذلك ان
المخطين بهذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا محتاجين الى معرفة حكم
الخطاب فلو كان المراد باللفظ العام في لعنة آكل الربا والمحلل ونحوهما المجمع على
تحريمه وذلك لا يعلم الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم الأمة في جميع
افراد ذلك العام لكان قد أخر بيان كلامه الى ان تكلم جميع الأمة في جميع أفرادها
وهذا لا يجوز

الثالث أن هذا الكلام إنما خوطبت الأمة به لتعرف الحرام فتجتنبه ويستندون في اجتماعهم اليه ويحتجون في نزاعهم به فلو كانت الصورة المرادة هي ما أجمعوا عليه فقط لكان العلم بالمراد موقوفاً على الاجماع فلا يصح الاحتجاج به قبل الاجماع فلا يكون مستنداً للاجماع لان مستند الاجماع يجب ان يكون متقدماً عليه فيمتنع تأخره عنه فانه يفضى الى الدور الباطل فان أهل الاجماع حينئذ لا يمكنهم الاستدلال بالحديث على صورة حتى يعلموا أنها مرادة ولا يعلمون أنها مرادة حتى يجتمعوا فصار الاستدلال موقوفاً على الاجماع قبله والاجماع موقوفاً على الاستدلال قبله اذا كان الحديث هو مستندهم فيكون الشيء موقوفاً على نفسه فيمتنع وجوده ولا يكون حجة في محل الخلاف لانه لم يرد وهذا تعطيل للحديث عن الدلالة على الحكم في محل الوفاق والخلاف وذلك مستلزم أن لا يكون شيء من النصوص التي فيها تغليظ للفعل أفادنا تحريم ذلك الفعل وهذا باطل قطعاً

الرابع ان هذا يستلزم ان لا يحتج بشيء من هذه الأحاديث الا بعد العلم بان الأمة أجمعت على تلك الصورة فاذا صدر الأول لا يجوز أن يحتجوا بها بل ولا يجوز أن يحتج بها من يسمعا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجب على الرجل اذا سمع مثل هذا الحديث ووجد كثيراً من العلماء قد عملوا به ولم يعلم له معارض ان لا يعمل به حتى يبحث عنه هل في اقطار الارض من يخالفه كما لا يجوز له ان يحتج في مسألة بالاجماع الا بعد البحث التام واذا بطل الاحتجاج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد خلاف واحد من المجتهدين فيكون قول الواحد مبطلاً لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقه محققة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان ذلك الواحد قد أخطأ صار خطأ مبطلاً لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله باطل بالضرورة فانه إن قيل لا يحتج به الا بعد العلم بالاجماع صارت دلالة النصوص موقوفة على الاجماع وهو خلاف الاجماع وحينئذ فلا يبقى للنصوص دلالة فان الاعتبار انما هو الاجماع والنص عديم التأثير فان قيل يحتج به اذ لا يعلم وجود الخلاف فيكون قول واحد من الأمة مبطلاً لدلالة النص وهذا أيضاً خلاف الاجماع وبطلانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام

الخامس انه اما ان يشترط في شمول الخطاب اعتقاد جميع الأمة للتحريم أو يكتفى باعتقاد العلماء فان كان الاول لم يجز ان يستدل على التحريم باحاديث الوعيد حتى يعلم

ان جميع الامة حتى الناشئين بالبواى البعيدة والداخلين في الاسلام من المدة القريبة قد اعتقدوا ان هذا محرم وهذا لا يقوله مسلم بل ولا عاقل فان العلم بهذا الشرط متعذر وان قيل يكتفى باعتقاد جميع العلماء قيل له انما اشترطت اجتماع العلماء حذرا من ان يشمل الوعيد لبعض المجتهدين وان كان مخطئا وهذا بعينه موجود فيمن لم يسمع دليل التحريم من العامة فان محذور شمول اللعنة لهذا كمحذور شمول اللعنة لهذا ولا يخفى من هذا الالتزام ان يقال ذلك من أكابر الامة وفضلاء الصديقين وهذا من اطراف الامة فان افتراقهما من هذا الوجه لا يمنع اشتراكهما في هذا الحكم فان الله سبحانه كما غفر للمجتهد اذا أخطأ غفر للجاهل اذا أخطأ ولم يمكنه التعلم بل المفسدة التي تحصل بفعل واحد من العامة محرما لم يعلم تحريمه ولم يمكنه معرفة تحريمه أقل بكثير من المفسدة التي تنشأ من احلال بعض الائمة لما قد حرمه الشارع وهو لم يعلم تحريمه ولم يمكنه معرفة تحريمه ولهذا قيل احذروا زلة العالم فانه اذا زل زل بزلته عالم قال ابن عباس رضى الله عنهما ويل للعالم من الاتباع فاذا كان هذا معفو عنه مع عظم المفسدة الناشئة من فعله فلان يعنى عن الآخر مع خفة مفسدة فعله أولى نعم يفترقان من وجه آخر وهو ان هذا اجتهد فقال باجتهاد وله من نشر العلم واحياء السنة ما تنفجر فيه هذه المفسدة وقد فرق الله بينهما من هذا الوجه فاناب المجتهد على اجتهاده واناب العالم على علمه ثوابا لم يشركه فيه ذلك الجاهل فهما مشتركان في العفو مفترقان في الثواب ووقوع العقوبة على غير المستحق متمتع جليلا كان أو حقيرا فلا بد من إخراج هذا الممتع من الحديث بطريق يشمل القسمين

السادس ان من أحاديث الوعيد ما هو نص في صورة الخلاف مثل لعنة المحلل له فان من العلماء من يقول ان هذا لا يأنم بحال فانه لم يكن ركنا في العقد الأول بحال حتى يقال لعن لاعتقاده وجوب الوفاء بالتحليل فمن اعتقد أن نكاح الأول صحيح وان بطل الشرط فانها تحل للثاني جرد الثاني عن الأثم بل وكذلك المحلل فانه إما أن يكون ملعونا على التحليل أو على اعتقاده وجوب الوفاء بالشرط المقرون بالعقد فقط أو على مجموعهما فان كان الاول أو الثالث حصل الغرض وان كان الثاني فهذا الاعتقاد هو الموجب للعنة سواء حصل هناك تحليل أو لم يحصل وحينئذ فيكون المذكور في الحديث ليس هو سبب اللعنة وسبب اللعنة لم يتعرض له وهذا باطل ثم هذا المعتقد وجوب الوفاء ان كان جاهلا فلا لعنة عليه وان كان عالما به لا يجب فمحال ان يستند

الوجوب الا ان يكون مراغماً للرسول صلى الله عليه وسلم فيكون كافراً فيعود معنى الحديث الى لعنة الكفار والكفر لا اختصاص له بانكار هذا الحكم الجزئي دون غيره فان هذا بمنزلة من يقول لعن الله من كذب الرسول في حكمه بأن شرط الطلاق في النكاح باطل ثم هذا كلام عام عموماً لفظياً ومعنوياً وهو عموم مبتدأ ومثل هذا العموم لا يجوز حمله على الصور النادرة اذ الكلام يعود لكثرة وعياً كتأويل من يتأول قوله ايما امرأة نكحت من غير اذن وليها على المكتوبة وبيان ندوره ان المسلم الجاهل لا يدخل في الحديث والمسلم العالم بان هذا الشرط لا يجب الوفاء به لا يشترطه معتقداً وجوب الوفاء به الا ان يكون كافراً والكافر لا ينكح نكاح المسلمين الا ان يكون منافقاً وصدور هذا النكاح على مثل هذا الوجه من اندر النادر ولو قيل ان مثل هذه الصورة لا يكاد يخطر ببال المتكلم لكان القائل صادقا وقد ذكرنا الدلائل الكثيرة في غير هذا الموضع على ان هذا الحديث قصد به المحلل القاصد وان لم يشترط وكذلك الوعيد الخاص من اللعنة والتار وغير ذلك قد جاء منصوباً في مواضع مع وجود الخلاف فيها مثل حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذي حديث حسن وزيارة النساء رخص فيها بعضهم وكرهها بعضهم ولم يحرمها وحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الذين يأتون النساء في محاشن وحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجالب مرزوق والمحتر ماعون وقد تقدم حديث الثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وفيهم من منع فضل مائه وقد لعن بائع الخمر وقد باعها بعض المتقدمين

وقد صح عنه من غير وجه انه قال من جر ازاره خيلاً لم ينظر الله اليه يوم القيامة . وقال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المسبل والمتان والمنفق سلعته بالخلف الكاذب مع ان طائفة من الفقهاء يقولون ان الجر والاسبال للخيلاء مكروه غير محرم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواصلة والموصولة وهو من أصح الأحاديث وفي وصل الشمر خلاف معروف . وكذلك قوله ان الذي يشرب في آنية نفقة انما يخرج في بطنه نار جهنم ومن العلماء من لم يحرم ذلك

السابع ان الموجب للعموم قائم والمعارض المذكور لا يصلح أن يكون معارضا لأن غايته أن يقال حملة على صور الوفاق والخلاف يستلزم دخول بعض من لا يستحق اللعن فيه فيقال اذا كان التخصيص على خلاف الاصل فتكثيره على خلاف الاصل فيستثنى من هذا العموم من كان معذورا بجهل أو اجتهاد أو تقليد مع ان الحكم شامل لغير المعذورين كما هو شامل لصور الوفاق فان هذا التخصيص اقل فيكون أولى الثامن انا اذا حملنا اللفظ على هذا كان قد تضمن ذكر سبب اللعن ويبقى المستثنى قد تخلف الحكم عنه لما منع ولا شك ان من وعد وأوعد ليس عليه ان يستثنى من تخلف الوعد او الوعيد في حقه لمعارض فيكون الكلام جاريا على منهاج الصواب اما اذا جعلنا اللعن على فعل الجمع على تحريمه أو سبب اللعن هو الاعتقاد المخالف للاجماع كان سبب اللعن غير مذكور في الحديث مع ان ذلك العموم لا بد فيه من التخصيص ايضا فاذا كان لا بد من التخصيص على التقديرين فلتزامه على الأول أولى لموافقة وجه الكلام وخلوه عن الاضرار

التاسع ان الموجب لهذا انما هو نفي تناول اللعنة للمعذور وقد قدمنا فيما مضى ان أحاديث الوعيد انما المقصود بها بيان أن ذلك الفعل سبب لتلك اللعنة فيكون التقدير هذا الفعل سبب اللعن فلو قيل هذا لم يلزم منه تحقق الحكم في حق كل شخص لكن يلزم منه قيام السبب اذا لم يتبعه الحكم ولا محذور فيه وقد قررنا فيما مضى أن الذم لا يلحق المجتهد حتى انا نقول ان محلل الحرام أعظم إثما من فاعله ومع هذا فالمعذور معذور فان قيل فمن المعاقب فان فاعل هذا الحرام اما مجتهد أو مقلد له وكلاهما خارج عن العقوبة

قلنا الجواب من وجوه • أحدها ان المقصود بيان أن هذا الفعل مقتض للعقوبة سواء وجد من يفعله أو لم يوجد فاذا فرض انه لا فاعل الا وقد انتفى فيه شرط العقوبة أو قد قام به ما يمتنع لم يصدق هذا في كونه محرما بل نعلم انه محرم ليجتنبه من يتبين له التحريم ويكون من رحمة الله بمن فعل قيام عذر له وهذا كما ان الصغار محرمة وان كانت تقع مكفرة باجتناب الكبائر وهذا شأن جميع المحرمات المختلف فيها فان تبين أنها حرام وان كان قد يذمر من يفعلها مجتهدا أو مقلدا فان ذلك لا يمتنع أن تمتد تحريمها الثاني ان بيان الحكم سبب لزوال الشبهة مانعة من حقوق العقاب فان العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاؤه بل المطلوب زواله بحسب الامكان ولولا هذا لما وجب

بيان العلم ولكن ترك الناس على جهلهم خيرا لهم ولكن ترك دلائل المسائل المشبهة خيرا من بيانها الثالث ان بيان الحكم والوعيد سبب لثبات المجتنب على اجتنابه ولولا ذلك لا انتشر العمل بها الرابع ان هذا العذر لا يكون عذرا الا مع العجز عن ازالته والا ففى أمكن الانسان معرفة الحق فقصر فيها لم يكن معذورا الخامس انه قد يكون في الناس من يفعله غير مجتهد اجتهدا يبيحه ولا مقلدا تقليدا يبيحه فهذا الضرب قد قام فيه سبب الوعيد من غير هذا المانع الخاص فيتعرض للوعيد ويلحقه الا ان يقوم فيه مانع آخر من توبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك ثم هذا مضطرب قد يحسب الانسان ان اجتهدا أو تقايده مبيح له أن يفعل ويكون مصيبا في ذلك تارة ومخطئا أخرى لكن متى تحرى الحق ولم يصد عنه اتباع الهوى فلا يكلف الله نفسا الا وسعها العاشر انه ان كان ابقاء هذه الاحاديث على مقتضياتها مستلزما لدخول بعض المجتهدين تحت الوعيد فكذلك اخراجها عن مقتضياتها مستلزم لدخول بعض المجتهدين تحت الوعيد واذا كان لازما على التقديرين بقى الحديث سالما عن المعارض فيجب العمل به

بيان ذلك ان كثيرا من الائمة صرحوا بأن فاعل الصورة المختلف فيها ملعون منهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فانه سئل عن تزوجها ليحلها ولم تعلم بذلك المرأة ولا زوجها فقال هذا سفاح وليس بنكاح لعن الله المحلل والحلل له وهذا محفوظ عنه من غير وجه وعن غيره منهم الامام أحمد بن حنبل فانه قال اذا أراد الاحلال فهو محلل وهو ملعون وهذا منقول عن جماعات من الائمة في صور كثيرة من صور الخلاف في الحمر والربا وغيرهما فن كانت اللعنة الشرعية وغيرها من الوعيد الذي جاء لا يتناول الا محل الوفاق فيكون هؤلاء قد لعنوا من لا يجوز لعنه فيستحقون من الوعيد الذي جاء في غير حديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم لعن المسلم كقتله وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رضى الله عنه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. متفق عليهما وعن ابي الدرداء رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الطعانين واللعانين لا يكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء. وعن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا رواهما مسلم. وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ليس المؤمن بالظان ولا بالظان ولا بالفاحش ولا البذي رواه الترمذي

وقال حديث حسن وفي أثر آخره ما من رجل يلعن شيئا ليس له بأهل الا حارت اللعنة عليه فهذا الوعيد الذي قد جاء في اللعن حتى قيل ان من لعن من ليس بأهل كان هو الملعون وان هذا اللعن فسوق وأنه مخرج عن الصديقية والشفاعة والشهادة يتناول من لعن من ليس بأهل فاذا لم يكن فاعل المختلف فيه داخلا في النص لم يكن أهلا فيكون لاعنه مستوجبا لهذا الوعيد فيكون أولئك المجتهدون الذين رأوا دخول محل الخلاف في الحديث مستوجبين لهذا الوعيد فاذا كان المحذور ثابتا على تقدير اخراج محل الخلاف وتقدير بقاءه علم انه ليس بمحذور ولا مانع من الاستدلال بالحديث وان كان المحذور ليس ثابتا على واحد من التقديرين فلا يلزم محذور البتة وذلك انه اذا ثبت التلازم وعلم ان دخولهم على تقدير الوجود مستلزم لدخولهم على تقدير العدم فالثابت أحد الأمرين إما وجود المازوم والتلازم وهو دخولهم جميعا أو عدم التلازم والملزوم وهو عدم دخولهم جميعا لأنه اذا وجد المازوم وجد التلازم واذا عدم التلازم عدم المازوم

وهذا القدر كاف في ابطال السؤال لكن الذي نعتقده ان لواقع عدم دخولهم على التقديرين على ماقرر . وذلك ان الدخول تحت الوعيد مشروط بعدم العذر في الفعل واما المعذور عذرا شرعيا فلا يتناوله الوعيد بحال والمجتهد معذور بل مأجور فينتفي شرط الدخول في حقه فلا يكون داخلا سواء اعتقد بقاء الحديث على ظاهره أو ذلك خلافا لعذر فيه وهذا إلزام مفحم لا محيد عنه الا الى وجه واحد وهو أن يقول السائل أنا أسلم أن من العلماء المجتهدين من يعتقد دخول مورد الخلاف في نصوص الوعيد وبوعده على مورد الخلاف بناء على هذا الاعتقاد فيلعن مثلا من فعل ذلك الفعل لكن هو مخطئ في هذا الاعتقاد خطأ بعذر فيه ويؤجر فلا يدخل في وعيد من لعن بغير حق لأن ذلك الوعيد هو عندي محمول على لعن محرم بالاتفاق فن لعن لعنا محرما بالاتفاق تعرض للوعيد المذكور على اللعن واذا كان اللعن من موارد الاختلاف لم يدخل في أحاديث الوعيد كما ان الفعل المختلف في حله ولعن فاعله لا يدخل في أحاديث الوعيد فكما أخرجت محل الخلاف من الوعيد الاول أخرج محل الخلاف من الوعيد الثاني واعتقد ان أحاديث الوعيد في كلا الطرفين لم تشمل محل الخلاف لافي جواز الفعل ولا في جواز لعنة فاعله سواء اعتقد جواز الفعل أو عدم جوازه فان على التقديرين لا أجوز لعنة فاعله ولا أجوز لعنة من لعن فاعله ولا اعتقد الفاعل ولا الملعن

داخلا في حديث وعيد ولا أغلظ على اللاعن اغلاظ من يراه متعرضا للوعيد بل لعنه
 لمن فعل المختلف فيه عندي من جملة مسائل الاجتهاد وأنا أعتقد خطأ في ذلك كما قد
 أعتقد خطأ الميسح فإن المقالات في محل الخلاف ثلاثة. احدها القول بالجواز. والثاني
 القول بالتحريم ولحق الوعيد. والثالث القول بالتحريم الخالي من هذا الوعيد الشديد
 وأنا قد اختار هذا القول الثالث لقيام الدليل على تحريم الفعل وعلى تحريم لعنة فاعل
 المختلف فيه مع اعتقادي ان الحديث الوارد في توعيد الفاعل وتوعيد اللاعن لم يشمل
 هاتين الصورتين فيقال للسائل ان جوزت أن تكون لعنة هذا الفاعل من مسائل
 الاجتهاد جاز أن يستدل عليها بالظاهر المتخصص فانه حينئذ لأمان من ارادة مح
 الخلاف من حديث الوعيد والمقتضى لارادته قائم فيجب العمل به وان لم يجوز أن يكون
 من مسائل الاجتهاد كان لعنه محرما محريما قطعيا. ولا ريب ان من لعن مجتهدا لعنا
 محرما محريما قطعيا كان داخلا في الوعيد الوارد للاعن وان كان متاولا لمن لعن بعض
 السلف الصالح ثبت ان الدور لازم سواء قطعت بتحريم لعنة فاعل المختلف فيه أو
 سوغت الاختلاف فيه وذلك الاعتقاد الذي ذكرته لا يدفع الاستدلال بنصوص الوعيد
 على التقديرين وهذا بين. ويقال له أيضا ليس مقصودنا بهذا الوجه تحقيق تناول
 الوعيد لمحل الخلاف وانما المقصود تحقيق الاستدلال بحديث الوعيد على محل الخلاف
 والحديث أفاد حكمين التحريم والوعيد وما ذكرته انما يتعرض لنفي دلالة على الوعيد
 فقط والمقصود هنا انما هو بيان دلالة على التحريم فاذا التزمت ان الاحاديث المتوعدة
 للاعن لا تناول لعنا مختلف فيه لم يبق في لعن المختلف فيه دليل على تحريمه وما نحن فيه
 من ان المختلف فيه كما تقدم فاذا لم يكن حراما كان جائزا أو يقال فاذا لم يقم دليل
 على تحريمه لم يجوز اعتقاد تحريمه والمقتضى لجوازه قائم وهي الاحاديث اللاعنة لمن فعل
 هذا وقد اختلف العلماء في جواز لعنته ولا دليل على تحريم لعنته على هذا التقدير
 فيجب العمل بالدليل المقتضى لجواز لعنته السالم عن المعارض وهذا يبطل السؤال فقد
 دار الأمر على السائل من جهة أخرى وانما جاء هذا الدور الآخر لان عامة النصوص
 المحرمة للعن متضمنة للوعيد فان لم يجوز الاستدلال بنصوص الوعيد على محل الخلاف لم
 يجوز الاستدلال بها على لعن مختلف فيه كما تقدم

ولو قال أنا استدلت على تحريم هذه اللعنة بالاجماع قيل له الاجماع منعقد على تحريم
 لعنة معين من أهل الفضل أما لعنة الموصوف فقد عرفت الخلاف فيه وقد تقدم ان

لعنة الموصوف لا تستلزم إصابة كل واحد من افراده الا اذا وجدت الشروط وارتفعت
الموانع وليس الامر كذلك . ويقال له أيضا كل ما تقدم من الأدلة الدالة على منع حمل
هذه الأحاديث على محل الوفاق ترد هنا وهي تبطل هذا السؤال هنا كما أبطلت أصل
السؤال وليس هذا من باب جعل الدليل مقدمة من مقدمات دليل آخر حتى يقال
هذا مع التطويل انما هو دليل واحد اذا المقصود منه أن نين أن المحذور الذي
ظنوه هو لازم على التقديرين فلا يكون محذورا فيكون دليل واحد قد دل على
ارادة محل الخلاف من النصوص وعلى انه لا محذور في ذلك وليس بمستكر ان يكون
الدليل على مطلوب مقدمة في دلائل مطلوب آخر وان كان المطلوبان متلازمين

الحادي عشر ان العلماء متفقون على وجوب العمل بأحاديث الوعيد فيما اقتضته من
التحريم فانما خالف بعضهم في العمل بأحاديث الوعيد خاصة فاما في التحريم فليس فيه
خلاف معتد محتسب وما زال العلماء من الصحابة والتابعين والفقهاء بعدهم رضى الله
عنهم أجمعين في خطابهم وكتابهم يحتجون بها في موارد الخلاف وغيره بل اذا كان في
الحديث وعيد كان ذلك أبلغ في اقتضاء التحريم على ما تعرفه القلوب وقد تقدم أيضا
التنبيه على رجحان قول من يعمل بها في الحكم واعتقاد الوعيد وانه قول الجمهور وعلى
هذا فلا يقبل سؤال يخالف الجماعة

الثاني عشر ان نصوص الوعيد من الكتاب والسنة كثيرة جدا والقول بموجبها
واجب على وجه العموم والاطلاق من غير ان يعين شخص من الاشخاص فيقال هذا
ملعون ومقضوب عليه أو مستحق لنار لاسيما ان كان لذلك الشخص فضائل وحسنات
فان من سوى الانبياء يجوز عليهم الصغائر والكبائر مع امكان أن يكون ذلك الشخص
صديقا أو شهيدا أو صالحا لما تقدم ان موجب الذنب يخاف عنه بتوبة أو استغفار أو
حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو شفاعة أو لحض مشيئة ورحمة فاذا قلنا بموجب
قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا) وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين) وقوله تعالى (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن
تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيم) ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف فصله نارا وكان ذلك على الله يسيرا) الى غير ذلك من آيات الوعيد أو قلنا
بموجب قوله صلى الله عليه وسلم . لعن الله من شرب الخمر أو عقى والديه أو من غير

منار الارض أولعن الله السارق أولعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكتبه أولعن الله لاوى الصدقة والمعتدى فيها أو من أحدث في المدينة حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أو من جر أزاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة أو لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ومن غشنا فليس منا أو من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فالجنة عليه حرام أو من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان أو من استحل مال امرء مسلم بيمين كاذبة فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة أو لا يدخل الجنة قاطع الى غير ذلك من أحاديث الوعيد لم يجوز ان نعين شخصا من فعل بعض هذه الافعال ونقول هذا المعلن قد أصابه هذا الوعيد لامكان التوبة وغيرها من مسقطات العقوبة ولم يجوز أن نقول هذا يستلزم لعن المسلمين ولعن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أو لعن الصديقين أو الصالحين لانه يقال الصديق والصالح متى صدرت منه بعض هذه الافعال فلا بد من مانع يمنع لحوق الوعيد به مع قيام سببه ففعل هذه الامور ممن يحسب انها مباحة بجهد أو تقليد أو نحو ذلك غايته ان يكون نوعا من أنواع الصديقين الذين امتنع لحوق الوعيد بهم لمانع كما امتنع لحوق الوعيد به لتوبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك

واعلم أن هذه السبيل هي التي يجب سلوكها فان ماسواها طريقان خيئان أحدهما القول بالحق الوعيد لكل فرد من الافراد بعينه ودعوى ان هذا عمل بموجب النصوص وهذا أقبح من قول الخوارج المكفرين بالذنوب والمعتزلة وغيرهم وفساده معلوم بالاضطرار وأدلتة معلومة في غير هذا الموضع . الثاني ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنا أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيما خلفها وهذا الترك يجر الى الضلال والالحوق بأهل الكتابين الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم ويفضى الى طاعة المخلوق في معصية الخالق ويفضى الى قبح العقوبة وسوء التأويل المفهوم من مخوى قوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

ثم ان العلماء يختلفون كثيرا فان كان كل خبر فيه تغليب مخالفه مخالف ترك القول

بما فيه من التغليظ أو ترك العمل به مطلقا لزم من هذا من المحذور ما هو أعظم من أن يوصف من الكفر والمروق من الدين وإن لم يكن المحذور من هذا أعظم من الذي قبله لم يكن دونه فلا بد أن تؤمن بالكتاب وتبوع ما أنزل إلينا من ربنا جميعه ولا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض وتلين قلوبنا لا تباع بعض السنة وتتفرعن قبول بعضها بحسب العادات والاهواء فإن هذا خروج عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين

والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه من القول والعمل في خير وعافية لنا

ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه

المتتبعين وأزواجه أمهات المؤمنين والتابعين

لهم بأحسن إلى يوم الدين

وسلم تسليما

كثيرا

نمت رسالة رفع الملام ويلها رسالة تنوع العبادات

﴿رسالة تنوع العبادات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل العبادات التي جاءت على وجوه متنوعة قد تقدم القول في مواضع ان العبادات التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم على أنواع يشرع فعلها على جميع تلك الأنواع لا يكره منها شيء وذلك مثل أنواع الشهادات وأنواع الاستفتاح ومثل الوتر أول الليل وآخره ومثل الجهر بالقراءة في قيام الليل والخفافة وأنواع القراءات التي أنزل القرآن عليها والتكبير في العيد ومثل الترجيع في الأذان وتركه ومثل إفراد الإقامة وتثنيها وقد بسطنا في جواب مسائل الزرعية وغيرها ان ما اختلف فيه العلماء وأراد الانسان أن يحتاط فيه فهو نوعان أحدهما ما اتفقوا فيه على جواز الأمرين ولكن تنازعوا أيهما أفضل والثاني ما تنازعوا في جواز أحدهما وكثير مما تنازعوا فيه قد جاءت السنة فيه بالأمرين مثل الحج قيل لا يجوز فسخ الحج الى العمرة بل قيل ولا يجوز المتعة وقيل بل ذلك واجب والصحيح ان كليهما جائز فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة في حجة الوداع بالفسخ وقد كان خيرهم بين الثلاثة وقد حج الخلفاء بعده ولم يفسخوا كما بسط في موضعه وكذلك الصوم في السفر قيل لا يجوز بل يجب الفطر والصحيح الذي عليه الجمهور جواز الأمرين ثم قال كثير منهم ان الصوم أفضل والصحيح ان الفطر أفضل المصلحة راجحة وما قال احد إنه لا يجوز الفطر كما يظنه بعض الجهال وهذا مبسوط في مواضع والمقصود هنا ان ما جاءت به السنة على وجوه كالأذان والإقامة وصلوات الخوف والاستفتاح فالكلام فيه من مقامين أحدهما في جواز تلك الوجوه كلها بلا كراهة وهذا هو الصواب وهو مذهب أحمد وغيره في هذا كله ومن العلماء من قد يكره أو يحرم بعض تلك الوجوه لظنه ان السنة لم تأت به أو انه منسوخ كما كره طائفة الترجيع في الأذان وقالوا انما قاله لأبي محذورة تلقيناً للإسلام لا تعليماً للأذان والصواب ان جعله من الأذان وهذا هو الذي فهمه أبو محذورة وقد عمل بذلك هو وولده والمسلمون يقرؤونهم على ذلك بكثرة وغيرها وكره طائفة الأذان بلا ترجيع وهو غلط أيضاً فان أذان بلال الثابت ليس فيه ترجيع وكره طائفة ترجيعها وكره طائفة صلاة الخوف الاعلى حديث بن عمر وكره آخرون ما أمر به هؤلاء والصواب في هذا كله ان كل ما جاءت به السنة فلا كراهة لشيء منه

بل هو جائز وهذا مبسوط في مواضع والمقصود هنا هو المقام الثاني وهو ان مافعله النبي صلى الله عليه وسلم من أنواع متنوعة وان قيل ان بعض تلك الأنواع أفضل فالأقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في ان يفعل هذا تارة وهذا تارة أفضل من لزوم أحد الأمرين وهجر الآخر • وهذا مثل الاستفتاح في الصحيحين عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول قال أقول اللهم بعد بيني وبين خطاياي كما بعدت بين المشرق والمغرب اللهم تقني من خطاياي كما يتقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني بالماء والبرد ولم يخرج البخاري في الاستفتاح شيئاً الا هذا وهو أقوى الحجج على الاستفتاح في المكتوبة فانه صريح في ذلك بقوله أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة وهذا سؤال عن السكوت لاعتبار القول سرّاً ويشهد له حديث سمرة وحديث أبي بن كعب انه كان له سكتان وأيضاً فللناس في الصلاة أقوال أحدها انه لا سكوت فيها كقول مالك ولا يستحب عنده استفتاح استعاذة ولا سكوت لقراءة الامام والثاني انه ليس فيها الا سكوت واحد الاستفتاح كقول أبي حنيفة لان هذا الحديث يدل على هذه السكتة والثالث ان فيها سكتين كافي حديث السنن لكن زوى فيه انه يسكت اذا فرغ من القراءة وهو الصحيح وروى اذا فرغ من الفاتحة فقال طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد يستحب ثلاث سكتات • وسكتة الفاتحة جعلها أصحاب الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد ليقرأ المأموم الفاتحة والصحيح انه لا يستحب الا سكتان فليس في الحديث الا ذلك واحدى الروايتين غلط والا كانت ثلاثة وهذا هو المنصوص عن أحمد وانه لا يستحب الا سكتان والثانية عند الفراغ من القراءة للاستراحة والفصل بينها وبين الركوع واما السكوت عقيب الفاتحة فلا يستحب أحمد كما لا يستحب مالك وأبو حنيفة والجمهور لا يستحبون ان يسكت الامام ليقرأ المأموم وذلك ان قراءة المأموم عندهم اذا جهر الامام ليست بواجبة ولا مستحبة بل هي منهي عنها وهل تبطل الصلاة اذا قرأ مع الامام فيه وجهان في مذهب أحمد فهو اذا كان يسمع قراءة الامام فاستماعه أفضل من قراءته كاستماعه لما زاد على الفاتحة فيحصل له مقصود القراءة والاستماع يدل عن قراءته فجمعه بين الاستماع والقراءة جمع بين البدل والمبدل ولهذا لم يستحب أحمد وجهور أصحابه قراءته في سكتات الامام الا ان يسكت سكوتاً بليفاً يتسع للاستفتاح والقراءة واما ان ضاق عنهما فقوله وقول أكثر أصحابه ان الاستفتاح أولى من القراءة بل هو في إحدى الروايتين يأمر بالاستفتاح مع جهر

الامام فاذا كان الامام ممن يسكت عقيب الفاتحة سكوتا يتسع للقراءة فالقراءة فيه أفضل من عدم القراءة لكن هل يقال القراءة فيه بالفاتحة أفضل للاختلاف في وجوبها أو غيرها من القرآن لكونه قد استتم هذا فيه نزاع ومقتضى نصوص أحمد وأكثر أصحابه ان القراءة بغيرها أفضل فانه لا يستحب أن يقرأ بها مع استماعه قراءتها وعامة السلف الذين كرهوا القراءة خلف الامام هو فيما اذا جهر ولم يكن أكثر الائمة يسكت عقب الفاتحة سكوتا طويلا وكان الذي يقرأ حال الجهر قايلا وهذا منهي عنه بالكتاب والسنة وعلى النبي عنه جمهور السلف والخلف وفي بطلان الصلاة بذلك نزاع ومن العلماء من يقول يقرأ حال جهره بالفاتحة وان لم يقرأ بها ففي بطلان صلاته أيضاً نزاع فالنزاع من الطرفين لكن الذين ينهون عن القراءة مع الامام هم جمهور السلف والخلف ومعهم الكتاب والسنة الصحيحة والذين أوجبوها على المأموم في حال الجهر هكذا فحينئذ قد ضعفه الائمة ورواه أبو داود وقوله في حديث أبي موسى واذا قرأ فانصتوا صححه أحمد واسحق ومسلم بن الحجاج وغيرهم وعلمه البخاري بانه اختلف فيه وليس ذلك بقادح في صحته بخلاف ذلك الحديث فانه لم يخرج في الصحيح وضعفه ثابت من وجوه وانما هو قول عبادة بن الصامت بل يفعل في سكوته ما يشاء من الاستفتاح والاستعاذة ولولم يسكت الامام سكوتا يتسع لذلك أو لم يدرك سكوته فهل يستفتح ويستعيد مع جهر الامام فيه ثلاث روايات احداها يستفتح ويستعيد مع جهر الامام وان لم يقرأ لان مقصود القراءة حصل بالاستماع وهو لا يسمع استفتاحه واستعاذته اذ كان الامام يفعل ذلك سرا والثانية يستفتح ولا يستعيد لان الاستعاذة تزداد للقراءة وهو لا يقرأ وأما الاستفتاح فهو تابع لتكبيره الافتتاح والثالثة لا يستفتح ولا يستعيد وهو أصح وهو قول أكثر العلماء كمالك والشافعي وكذا أبو حنيفة فيما اظن لأنه مأثور بالانصات والاستماع فلا يتكلم بغير ذلك ولانه ممنوع من القراءة فكذلك يمنع من ذلك وكثير من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم يقول منعه أولى لان القراءة واجبة وقد سقطت بالاستماع لكن مذهب أحمد ليس منعه من القراءة أو كذا فان القراءة عنده لا تجب على المأموم لاسرا ولا جهرها وان اختلف في وجوبها على المأموم فقد اختلف في وجوب الاستفتاح والاستعاذة وفي مذهبه في ذلك قولان مشهوران • ومن حجة من يأمر بهما عند الجهر أنهما واجبان لم يجعل عنهما بدل بخلاف القراءة فانه جعل منها بدل وهو الاستماع لكن الصحيح ان ذلك ليس بواجب والاستعاذة انما أمر بها من يقرأ والايمر بالاستماع

قراءة الامام والانصات له مذكور في القرآن وفي السنة الصحيحة وهو اجماع الامة فيما زاد على الفاتحة وهو قول جماهير السلف من الصحابة وغيرهم في الفاتحة وغيرها وهو احد قولى الشافعى واختاره طائفة من حذاق اصحابه كالرازى وأبى محمد بن عبد السلام فان القراءة مع جهر الامام منكر مخالف للكتاب والسنة وما كان عليه عامة الصحابة ولكن طائفة من اصحاب احمد استحبوا للمأموم القراءة في سككات الامام ومنهم من استحب أن يقرأ بالفاتحة وان جهر وهو اختيار جدى كما استحب ذلك طائفة منهم الاوزاعى وغيره واستحب بعضهم للامام أن يسكت عقب الفاتحة ليقرأ من خلفه وأحمد لم يستحب هذا السكوت فانه لا يستحب القراءة اذا جهر الامام وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان سكوت الاستفتاح ثبت بهذا الحديث الصحيح ومع هذا فعامة العلماء من الصحابة ومن بعدهم يستحبون الاستفتاح بغيره كما يستحب جمهورهم الاستفتاح بقوله سبحانك اللهم وقدينا سبب ذلك في غير هذا الموضع وهو ان فضل بعض الذكر على بعض هو لاجل ما اختص به الفاضل لا لاجل اسناده والذكر ثلاثة أنواع أفضلها ما كان نداء على الله ثم ما كان انشاء من العبد أو اعترافا بما يجب لله عليه ثم ما كان دعاء من العبد فالاول مثل النصف الاول من الفاتحة ومثل سبحانك اللهم وبمحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ومثل التيسيح في الركوع والسجود والثانى مثل قوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ومثل قوله في الركوع والسجود اللهم لك ركعت ولك سجدت وكفى حديث على الذى رواه مسلم والثالث مثل قوله اللهم بعد بينى وبين خطيأى ومثل دعائه في الركوع والسجود ولهذا أوجب طائفة من اصحاب احمد ما كان نداء كما أوجبوا الاستفتاح وحكى في ذلك عن أحمد روايتان واختار ابن بطه وغيره وجوب ذلك وهذا لبسطه موضع آخر والمقصود هنا ان النوع المفضل مثل الاستفتاح الذى رواه أبو هريرة ومثل الاستفتاح بوجهت أو سبحانك اللهم عند من يفضل الآخر فعلة أحيانا أفضل من المداومة على نوع وهجر نوع وذلك ان أفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيح انه كان يقول في خطبة الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن يداوم على استفتاح واحد قطما فان حديث أبى هريرة يدل على انه كان يستفتح بهذا فان قيل كان يداوم عليه فكانت المداومة عليه أفضل قلنا لم يقل هذا أحد من العلماء فيما علمناه فلم انه لم يكن يداوم عليه وأيضا فقد كان عمر

يجهر بسبحانك اللهم وبمحمدك يعلمها الناس ولولا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها في الفريضة ما فعل ذلك عمر و اقره المسلمون وكما كان بعضهم يجهر بالاستعاذة وكذلك قيل في جهر جماعة منهم بالبسملة انه كان لتعليم الناس قراءتها كما جهر من جهر منهم بالاستعاذة والاستفتاح وكما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ولهذا كان الصواب هو المنصوص عن أحمد انه يستحب الجهر احيانا بذلك فيستحب الجهر بالبسملة احيانا ونص قوم على انه كان يجهر بها اذ صلى بالمدينة فظن القاضي ان ذلك لان اهل المدينة شيعة يجهرون بها وينكرون على من لم يجهر بها لان القاضي لما حجج كان قد ظهر بها التشيع واستولى عليها وعلى اهل مكة العبيديون المصريون وقطعوا الحج من العراق مدة وانما حج القاضي من الشام والصواب ان أحمد لم يأمر بالجهر لذلك بل لان اهل المدينة على عهده كانوا لا يقرأون بها سرا ولا جهر ا كما هو مذهب مالك فأراد ان يجهر بها كما جهر بها من جهر من الصحابة تعالى السنة وانه يستحب قراءتها في الجملة وقد استحب أحمد أيضا لمن صلى يقوم لا يقتنون بالوتر وأرادوا من الأمام أن لا يفتت لتأليفهم فقد استحب ترك الأفضل لتأليفهم وهذا يوافق تعليل القاضي فيستحب الجهر بها اذا كان المأمومون يختارون الجهر لتأليفهم ويستحب أيضا اذا كان فيه اظهار السنة وهم يتعاملون السنة منه ولا ينكرونه عليه وهذا كله يرجع الى أصل جامع وهو ان المفضل قد يصير قاضيا لمصلحة راجحة واذا كان المحرم كأكل الميتة قد يصير واجبا للمصلحة الراجحة ودفع الضرر فلأن يصير المفضل قاضيا لمصلحة راجحة أولى وكذلك يقال في أجناس العبادات كالصلاة جنسها أفضل من جنس القراءة والذكر ثم انها منهي عنها في أوقات النهي فالقراءة والذكر والدعاء في ذلك الوقت أفضل من الصلاة وكذلك الدعاء في مشاعر الحج بعرفة ومزدلفة ومنى والصفاء والمروة أفضل من القراءة أيضا بالنص والاجماع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني نهيت ان أقرأ القرآن راكبا وساجدا وهذا في الصحيح من حديث ابن عباس ومن حديث علي أيضا انه نهاه عن ذلك ولو قرأ هل تبطل صلاته فيه وجهان في مذهب أحمد فالنهي عن الصلاة والقراءة في المشاعر الفضيلة (١)

والقراءة فان الطهارة شرط في الصلاة ولا يشترط له الطهارة ولكل مكان عبادة تشرع وكذلك ترك الصلاة وقت النهي مشروع في كل زمان وأما الطواف فهل تكره فيه القراءة فيه قولان مشهوران للعلماء وهما روايتان عن أحمد والرخصة مذهب

الشافعي بل هو يستحب فيه القراءة ولا يستحب الجهر بها ولا أخرى مصنف وإذا كان هذا من أجناس العبادات التي ثبت فضل بعضها على بعض بالنص والاجماع فكيف في أنواع الذكر لاسيما فيما فيه نزاع فالأصل بالارباب هدى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت أنه كان يستفتح بهذا الاستفتاح الذي في حديث أبي هريرة فلا فضل أن يستفتح به أحيانا ويستفتح بغيره أحيانا وأيضا فكل استفتاح حاجة ليست لغيره فيأخذ المؤمن من محضته من كل ذكر وأيضا فقد يحتاج الإنسان إلى المنفول ولا يكفيه ما فضل كفي بل هو الله أحد فانه تعدل ثلث القرآن أي يحصل لصاحبها من الأجر ما يعدل ثواب ثلث القرآن في التقدير لا في الصفة فإن ما في القرآن من الأمر والنهي والتعريض والتوعيد والتوعيد لا يغني عنه قل هو الله أحد وليس أجرها من جنس أجرها وإن كان جنس أجر قل هو الله أحد أفضل فقد يحتاج إلى المنفول حيث لا يغني المفاضل كما يحتاج الإنسان إلى رجليه حيث لا تغني عنه عينه وكذلك المحلوقات لكل مخلوق حكمة خالق لأجلها فكذلك العبادات جميع ما شرعه الرسول له حكمة ومقصود يتنوع به مقتضاه فلا يهمل ما شرعه من المستحبات وإن قيل إن جنس غيره أفضل فهو من زمانه ومكانه أفضل من غيره والصلوات التي كان يدعو فيها بهذا الاستفتاح كان يدعو بهذا الاستفتاح أفضل من غيره وهو دعاؤه بالعبادة والتنقية من الذنوب والتباعد عنها من جنس الاستغفار في السحر وكاستغفاره عقب الصلاة وقد كان يدعو بمثل هذا الدعاء في آخر قيام الاعتدال بعد التمجيد فكان يفتح القيام مرة ويستمع به القيام أيضا وقد روى عنه في الاستفتاح أنواع وعامتها في قيام الليل كما ذكر ذلك أحمد ويستحب للمصلي بليال أن يستفتح بها كلها وهذا أفضل من أن يدعو على نوح ويهجر غيره فإن هذا هدى النبي صلى الله عليه وسلم لكن يقال أيضا هدى النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل ومن الناس من لا يصالح له إلا أفضل بل يكون فلهذا المنفول أنفع كمن يتنعم بدعاء دون الذكر أو بالذكر دون القراءة أو بالقراءة دون صلاة المسبوع في عبادة التي يتنعم بها فيحضرها قلبه ويرغب فيها ويحبها أفضل من عبادة يفهم مع المنفعة وعدم الرغبة كالغذاء الذي يشبهه الإنسان وهو جائع هو أنفع له من غذاء لا يشبهه أو يأكله وهو غير جائع فكذلك يقال هنا قد تكون مداومته على النوع المنفول أنفع لحبته وشهود قلبه وفهمه ذلك الذكر ونحن إذا قلنا التنوع في هذه الأذكار أفضل فهو أيضا تفضيل لجنس التنوع والمنفول قد يكون أنفع لبعض الناس لمناسبة له كما قد يكون جنسه في الشراء أفضل في بعض

الأمكنة والازمنة والأحوال فالفضل تارة يكون أفضل مطلقاً في حق جميع الناس كما تقدم وقد يكون أفضل لبعض الناس لأن انتفاعه أتم وهذه حال أكثر الناس قد ينتفعون بالفضل لمناسبته لأحوالهم الناقصة ما لا ينتفعون بالفاضل الذي لا يصلون إلى أن يكونوا من أهله

(فصل) وكذلك صلاة الخوف إذا صلى مرة على وجه ومرة على وجه كان أتبع من حفظ وجه وترك آخر وقد يكون على وجه أفضل في وقت لمناسبة حاله حال ذلك الوقت وربما كان بعض الذكر والدعاء في بعض الاوقات أفضل كذلك فقد يكون في حال يكون الاستغفار أنفع له وفي حال يكون اقراره لله بالتوحيد أفضل له وفي حال يكون تسيحه وتحميده وتهليله وتكثيره أفضل له والذين يستحبون بعض المشروع ويكرهون بعضه فإن الله سبحانه يقيم طائفة تقول هذا وطائفة تقول هذا وطائفة تقول هذا ويتنازعون فإن بسبب النزاع تظهر كل طائفة من السنة ما قالت به وتركته الأخرى كالمختلفين في البسملة هل تجب ويحجر بها أم تكره قراءتها سرا وجهراً يحتاج أولئك أن يظهروا ما يدل على أنها من القرآن آية مفردة تبعاً للسور ويحتاج أولئك أن يظهروا ما يدل على أنها ليست من السور ولا تجب قراءتها وكلا القولين حق وسورة اقرأ هي أول ما نزل من القرآن وقد احتج بها كل من الطائفتين وفيها حجة لما معه من الحق فالذين قالوا ليست من السورة قالوا ان جبريل لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره بقراءتها بل أمره ان يقرأ باسم ربك الذي خلق ولو كانت هي أول السورة لأمره بها وهذا ثابت في الصحيحين من حديث عائشة والذين قالوا بقراءتها قالوا قد قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فهذا أمر لكل قارئ أن يقرأ باسم ربه فاذا قيل اذبح باسم الله وكل باسم الله واركبوا باسم الله فعناه اذكر اسم الله اذا فعلت ذلك فلما قال اقرأ باسم ربك كان أمراً لتقاربي أن يذكر اسم الله فيقول باسم الله وهذا أولى من ذكر اسم ربه عند الذبح والأكل والشرب وهنا قد أمر بالاستعاذة أيضاً عند القراءة وهو اذا قال باسم الله الرحمن الرحيم فقد امتثل ما أمر به فذكر اسم ربه اذا قرأ وانما لم يذكرها جبريل ابتداءً لأنه بعد لم يتعلم شيئاً من القرآن ولكن علمه هذا وأمره فيه بذكر اسم ربه اذا قرأ فكان بعد هذا اذا قرأ السورة يقرأ باسم الله الرحمن الرحيم كما ثبت في صحيح مسلم انه قال قد أنزل على آفا سورة ثم قرأ باسم الله الرحمن الرحيم (انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شئت هو

الأبتر) ولكن هذه على أنها تبع للقرآن المقصود لما فيها من ذكر الله ولهذا كتبت في المصاحف مفردة عن السورة لم تخط بها فهي قرآن مكتوب في المصاحف لكن أنزلت تبعا لغيره والمقصود غيره فلهذا أفردت في الكتابة والتلاوة ففي الكتابة تكتب مفردة وفي التلاوة كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجهر بها ولم يجعلها من القرآن المفروض في الحديث الصحيح بقوله يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي فإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى على عبدي فإذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي إلى آخر الحديث وهذا قول جمهور العلماء في البسملة أنها آية من القرآن مفردة وليست من السورة وأنه يقرأ بها في الصلاة سرا فلا تخرج من القرآن وتهجر ولا تشبه بالقرآن المقصود فتجهر وهي تشبه الاستعاذة من بعض الوجوه لكن الاستعاذة ليست بقرآن ولم تكتب في المصاحف إنما فيه الأمر بالاستعاذة وهذه قرآن والفتحة سبع آيات بالاتفاق وقد ثبت ذلك بقوله (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فاتحة الكتاب هي السبع المثاني وقد كان كثير من السلف يقول البسملة آية منها ويقرأها وكثير من السلف لا يجعلها منها ويجعل الآية السابعة أنعمت عليهم كادل على ذلك حديث أبي هريرة الصحيح وكلا القولين حق فهي منها في وجه وليست منها من وجه والفتحة سبع آيات من وجه تكون البسملة منها فتكون آية ومن وجه لا تكون منها فلا آية السابعة أنعمت عليهم لأن البسملة أنزلت تبعا للسور والمقصود أن يبدأ القرآن بذكر اسم الله فهي أنزلت في أول السورة تبعا لم تنزل في أواخر السور وكتبت في المصاحف مفردة لكن تبعا لما بعدها لا لما قبلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزلت على آتفا سورة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر) وفي السنن كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم فمن جهة كونها تابعة للسورة تجعل منها ومن جهة كون المقصود أن يقرأ بسم الله كما يفعل سائر الأفعال باسم الله والقرآن المقصود غيرها لم تكن آية من السورة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أني لأعلم سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى يغفر له وهي (تبارك الذي بيده الملك) والقراء منهم من يفضل بها بين السورتين ومنهم من لا يفضل الكون القرآن كله كلام

الله فلا يفصلون بها بين السورتين كمن سمي اذا أكل ثم أكل أنواعا من الطعام ومنهم من يسمى في أول كل سورة وهذا أحسن لمتابعته لحط المصحف وهو بمنزلة رفع طعام ووضع طعام فالتسمية عنده أفضل وكذلك من ذبح شاة بعد شاة فالتسمية على كل شاة أفضل وأما تلاوتها في أول الفاتحة فهو ابتداء بها للقرآن ولهذا اختلف كلام أحمد هل قراءتها في أول الفاتحة واجبة فرض لأنصح الصلاة الأبه على روايتين وذكر عنه روايتان في الاستعاذة والاستفتاح بالبسملة أولى بالوجوب ثم وجوبها قد يتنى على أنها من الفاتحة وقد يقال بوجوبها وإن لم تكن من الفاتحة كما يوجب من يوجب الاستعاذة والاستفتاح ولهذا لا يجعل الجهر بها تبعا لوجوبها بل يوجبها ويستحب الخافئة بها ولو كانت من الفاتحة من كل وجه لكان الجهر ببعض الفاتحة دون بعض بعيدا عن الاصول فاذا جعلت منها من وجه دون وجه اتفقت الأدلة والاصول واعطى كل شيء من ذلك صفة ولم يقل أنها من القرآن في أول الفاتحة ولو كقول من لم يجمعها من القرآن في حال الا في سورة النمل وقد قال طائفة أنها من القرآن في قراءة دون قراءة لتواتر هذه القراءات فيقال المتواتر هو الامر الوجودي وهو ماسمعه من القرآن من الصحابة وبلغوه عن الرسول والقرآن في زمانه لم يكتب ولا كان ترتيب السور على هذا الوجه أمرا واجبا مأمورا به من عند الله بل الامر مفوض في ذلك الى اختيار المسلمين ولهذا كان جماعة من الصحابة لكل منهم اصطلاح في ترتيب سور غير اصطلاح الآخر حينئذ فيكون الذين لا يقرؤها قد أقرأهم الرسول ولم يسمل وأولئك أقرأهم وبسمل فهذا يدل على جواز الامرين وإن كان أحدهما أفضل لا يدل على أنها في أحد الحرفين ليست من القرآن وأنه نهى عن قراءتها فإن هذا جمع بين النقيضين كيف يسوغ قراءتها وأنهى عن قراءتها بل هذا يدل على جواز الامرين كالحروف التي ثبتت في قراءة دون قراءة مثل من تحتها ومثل ان الله هو الغنى فالرسول يجوز اثبات ذلك ويجوز حذفه كلاهما جائز في شرعه وبهذا يتبين ان من قال من الفقهاء أنها واجبة على قراءة من أثبتها أو مكروهة على قراءة من لم يثبتها فقد غلط بل القرآن يدل على جواز الامرين ومن قرأ بأحدى القراءات لا يقال انه كما قرأ يجب أن يقرأ بها ومن ترك ما قرأه غيره لا يقول ان قراءة أولئك مكروهة بل كل ذلك جائز بالاتفاق وإن رجح كل قوم شيئا وبهذا يتبين ان من أنكر كونها من القرآن بالكلية الا في سورة النمل وقطع بخط من أثبتها بناء على أن القرآنية لا تثبت الا بالجمع فهو محض في ذمتهم ويقال له ولا تنفى الا بالقطع أيضا

ثم يقال له من أثبتها يقطع بانها ثابتة ويقطع بخطأ من نفاها بل التحقيق ان كون الشيء قطعياً أو غير قطعي أمراً ضافياً والقراءات تدل على جواز الأمرين ولكن القراءة بها أفضل وهذا قول جمهور العلماء يجوزون هذا ويرجحون قراءتها ويحفظونها عن

غيرها من القرآن لانها تابعة لغيرها والله أعلم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وحسينا الله ونعم

الوكيل

تمت رسالة تنوع العبادات ويلها رسالة في الرد على النصيرية

رسالة في الرد على النصيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام وناصر السنة فريد الوقت وبحر العلوم تاج العارفين وكنز المستفيدين لسان المتكلمين وقدوة المحققين بقية المجتهدين وحنة المتأخرين إمام الزاهدين ومنار المجاهدين الإمام المحقق التوراني والعالم المجتهد الرباني تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رحمه الله عن النصيرية وما يتعلق بهم بمقتضى سؤال حرره الشيخ الامام العالم العامل العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مري الشافعي رحمه الله وجعله من حزبه المتفاجين وعفائه وعافاه

صورته

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين وأعانهم على اظهار الحق المبين واخذ شغب المبطلين في النصيرية القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الارواح وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء وهي على وحسن وحسين ومحسن وفاطمة فذكر هذه الاسماء الخمسة على رأيهم يحجزهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ويضيق هذا الموضع عن ابرازهم وبأن إلههم الذي خلق السموات والارض هو على بن أبي طالب رضى الله عنه فهو عندهم الامام في السماء والامام في الارض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه وبأن النصيرى عندهم لا يصير نصيريا يجالسونه ويشربون معه الخمر ويظلمونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه وحقيقته الخطاب عندهم أن يخافوه على كتم دينه ومعرفة مشايخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن لا ينصح مسلما ولا غيره الا من كان من أهل دينه وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف انتقال الاسم والمعنى في كل حين وزمان فالاسم عندهم في أول الناس آدم والمعنى هو شيث والاسم يعقوب والمعنى هو يوسف ويستدلون على هذه الصورة كيزعمون في القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام فيقولون أما يعقوب فانه كان الاسم فسا قدر أن يتعدى منزله فقال

سوف أستغفر لكم ربى واما يوسف فكان المعنى المطلوب فقال لا تثريب عليكم اليوم فلم يعلق الأمر بغيره لانه علم انه هو الامام المتصرف ويجهلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى ويقولون يوشع ردت له الشمس لما أمرها فاطاعت أمره وهل ترد الشمس الا لربها ويجهلون سليمان هو الاسم وآصف هو المعنى ويقولون سليمان عجيز عن احضار عرش باقيس وقد ر عليه آصف لان سليمان كان الصورة وآصف كان المعنى القادر المقتدر وقد قال قائلهم

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الانبياء والمرسلين واحدا واحدا على هذا النمط الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون محمد هو الاسم وعلى هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان الى وقتنا هذا فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم ان عليا هو الرب وان محمدا هو الحجاب وان سليمان هو الباب وأنشد بعض اكابر رؤسائهم وفضلائهم لنفسه في شهور سنة سبع مائة فقال

أشهد أن لا إله الا حيدرة الانزع البطين

ولا حجاب عليه الا محمد الصادق الامين

ولا طريق اليه الا سليمان ذو القوة المتين

ويقولون ان ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال وكذلك خمسة الايتام والاثني عشر تقيبا واسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الحبيثة وانهم لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور ابدا سرمداً على الدوام والاستمرار ويقولون ان ابليس الابالسة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويديه في رتبة الابالسية أبو بكر رضى الله عنه ثم عثمان رضى الله عنهم اجمعين وسرقتهم وأعلى رتبته عن أنوال الملحدين واتحال أنواع الضالين والمفسدين فلا يزالون موجودين في كل وقت دائما حسبما ذكر من الترتيب ومذاهبهم انفسدة شعب وتفاصيل ترجع الى هذه الاصول المذكورة وهذه الطائفة المنعونة استوات على جانب كبير من بلاد الشام معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب وقد حقق احوالهم كل من خاطبهم وعرفهم من غلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس أيضا في هذا الزمان لان احوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الافرنج المخذولين على البلاد الساحلية فلما جاءت أيام الاسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم والابتلاء بهم كثير جدا فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم وهل يحل أكل ذبحهم والحالة هذه أم لا وما حكم الجبن المعمول من

انفحة ذبيحتهم وما حكم اوانهم وملابسهم وهل يجوز دفعهم بين المسلمين أم لا وهل يجوز استخدامهم في تغور المسلمين وتسليمها اليهم أم يجب علي ولي الامر قطعهم واستخدام غيرهم من المسلمين الكفاة واذا استخدمهم وأقطعهم أولم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم حلال أم لا واذا جاهدهم ولي الامر أيده الله تعالى باخذ باطالهم وقطعهم من حصون المسلمين وحذر أهل الاسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم وألزمهم بالصوم والصلاة ومنهم من اظهار دينهم الباطل وهم يلونه من الكفار هل ذلك أفضل وأكثرا اجرا من التصدي والترصد لقتال التتار في بلادهم وهدم بلادسيس وديار الافرنج على أهلها أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطا ويكون أجر من رابط في التغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكبر اجرا وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على ابطال باطلهم واظهار الاسلام بينهم فلعن الله تعالى أن يهدي بعضهم الى الاسلام وأن يحل من ذريتهم وأولادهم ناسا مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم أم يجوز التغافل عنهم والاهمال وما قدر اجر المجاهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط له والملازم عليه ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى انه على كل شئ قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

أجاب شيخ الاسلام ثقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وقل* الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنة أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المخاريين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم فان هؤلاء يتظاهرون عند جهل المسلمين بالتشيع وموالاتهم أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا رسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولاجنة ولا نار ولا باحد من المسلمين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا بملة من الملل السالفة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكره السائل ومن غير هذا الجنس فانهم ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الاخاد في اسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه إذ مقصودهم انكار الايمان وشرائع الاسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الامور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكر السائل ومن جنس قولهم إن

الصلوات الخمس معرفة أسرارهم أو الصيام المفروض كتمان أسرارهم وحج البيت
التيق زيارة شيوخهم وإن بدا أني لهما أبو بكر وعمر وإن النبا العظيم والامام
المتين هو علي بن أبي طالب ولهم في معاداة الاسلام وأهلها وقائع مشهورة وكتب
مصنفة فإذا كانت لهم مكتبة سفكوادماء المسلمين كقتلوا مرة الحجاج والقوهم في
بئر زمزم وأخذوا مرة أخجر الاسود وبقي عندهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين
ومشايخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصى عدده لانه تعالى وصفوا كتباً كثيرة
مما ذكره السائل وغيره وصنف علماء المسلمين كتباً في كشف أسرارهم وهدت
أستارهم وينوافيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والاحاد الذين هم به أكفر من
اليهود والنصارى ومن براعة الهند الذين يعبدون الاصنام وما ذكره السائل في وصفهم
قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء من وصفهم ومن العلوم عندنا أن السواحل
الشامية إنما استولى عليها نصارى من جهتهم وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين فهم مع
النصارى على المسلمين ومن أعظم المنائب عندهم "تتصار مسلمين على التتار ومن
أعظم أعيادهم إذا استولى واليهذه تعالى النصارى على ثغور المسلمين وما زالت بأيدي
المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحهم عن قريب وفتحهم المسلمون في خلافة
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فتحها معاوية بن أبي سفيان الى ثناء المائة
الرابعة" فهؤلاء المجاهدين لله ورسوله كثروا بسواحل وغيرها فستولى النصارى على
الساحل ثم بسبهم استولوا على القدس الشريف وغيره فنأحوالهم كانت من أعظم
الاسباب في ذلك ثم لما أقدم الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور
الدين الشهيد وصالح الدين وأبائهم وفتحوا السواحل من النصارى ممن كان بها منهم
وفتحوا أيضاً أرض مصر فنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتين سنة واتفقوا هم والنصارى
فجاهدتهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الاسلام بالديار
المصرية والشامية ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من
ملوك المسلمين الا بمعاونتهم ومواررتهم فان مرجع هؤلاء الذي كان وزيرهم وهو
النصير الضوسي كان وزيراً لهم بالأموت وهو الذي أمر بقتل خليفة وبولاية هؤلاء
ولهم القاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاجدة وتارة يسمون القرامطة
وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الاسماعيلية وتارة يسمون النصيرية وتارة
يسمون الخزمية وتارة يسمون المحمرة وهذه الاسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض

أصنافهم كما أن الاسلام والايمان يعم المسلمين وبعضهم اسم يخصه ما للنسب والماذهب
واما البلد واما لغير ذلك وشرح مقاصدهم يطول كما قال العلماء فيهم ظاهر مذهبهم
الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء والمرسلين
لابنوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
ولا بشئ من كتب الله المنزلة لا التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ولا يقرون بأن
للعالم خالفا خلقه ولا بأن له ديناً أمر به ولا أن له داراً يحزى الناس فيها على أعمالهم
غير هذه الدار وهم تارة يبنون قوهم على مذاهب الفلاسفة الطاعنين والاهلين وتارة
يبنونه على قول الفلاسفة وقول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون الى ذلك
الرفض ويحتجون لذلك من كلام النبوات اما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما خلق الله العقل والحديث موضوع باتفاق
أهل العلم بالحديث ولفظه إن الله لما خلق العقل فقال له أقبل فقبل فقال له أدبر فدبر
فيحرفون لفظه ويقولون أول ما خلق الله العقل ليوافقوا قول المتفلسفة اتباع
أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل واما بلفظ أت عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم
فانهم من أئمتهم وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى
صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين الى العلم والدين وان كانوا لا يوافقونهم على
أصول الدعوة النهائية وهي درجات متعددة ويسمون النهاية البلاغ الاكبر والناموس
الأعظم ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخلق تعالى والاستهزاء به وبمن يقر به حق
قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء
به الانبياء ودعوى أنهم من جنسهم طائفة لرياسة فمنهم من أحسن في طلبها ومنهم من
أساء في طلبها حتى قتل ويجعلون محمداً وموسى من القسم الاول ويجعلون المسيح
من القسم الثاني وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحمّل
نكاح ذوات الخمار وسائر الفواحش ما يطول وصفه ولهم اشارات ومخاطبات يعرف بها
بعضهم بعضاً وهم اذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الايمان فقد يخفون
على من لا يعرفهم وأما اذا كثروا فانه يعرفهم عامة الناس فضلاً عن خاصتهم
وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز منا كحتهم ولا يجوز أن
ينكح الرجل موليته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباع ذبايحهم وأما

الجبن المعمول بانفاحتهم ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة وكأنفحة ذبيحة الجوس وذبيحة الفرج الذين يقال عنهم أنهم لا يزكون الذبائح فذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين أنه يحل هذا الجبن لان أنفحة الميت طاهرة على هذا القول لان الأنفحة لا تموت بموت البهيمة وملاقة الوعاء النجس في الباطن لا ينجس ومذهب مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى ان هذا الجبن نجس لان أنفحة هؤلاء نجسة لان لبن انفحتها عندهم نجس ومن لا توكل ذبيحته فذبيحته كالميتة وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة فأصحاب القول الاول نقلوا انهم أكلوا جبن الجوس وأصحاب القول الثاني نقلوا انهم أكلوا ما كانوا يظنون انه من جبن النصارى فهذه مسألة اجتهد المقلدان يقلد من يفتى باحد القولين واما أوانيهم وملابسهم فكأواني الجوس وملابس الجوس على ما عرف من مذاهب الأئمة والصحيح في ذلك ان أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها فان ذبائحهم ميتة فلا بد أن تصيب أوانيهم المستعملة ما يطبخونه من ذبائحهم فتنجس بذلك فاما الآنية التي لا يغاب على الضن وصول النجاسة اليها فتستعمل من غير غسل كآنية اللبن التي لا يضعون فيها طيخهم أو يغسلونها قبل وضع اللبن فيها وقد توضحاً عمر بن الخطاب رضى الله عنه من جرة نصرانية فاشت في نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم فان الله سبحانه وتعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين كعبد الله بن أبى ونحوه وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الاسلام لكن يسرون ذلك فقال الله (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) فكيف هؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والاختاد واما استخدام مثل هؤلاء في تغوير المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبار وهو بمنزلة من يستخدم الذئب لرعى الغنم فانهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة وهم شر من الخمار الذي يكون في العسكر فان الخمار قد يكون له غرض إمام مع العسكر وإمام مع العدو وهؤلاء مع الله وفيها ودنياً ومن كها علماء وعمتها وخاصتها وهم أحرص الناس على تسليم الخصم الى عدو المسلمين وعلى افساد الجند على ولى الأمر وإخراجهم عن طاعته ويحل لولاة الأمور قطعهم من دواوين المقامة فلا يتركون في

ثغر ولا في غير ثغر فان ضررهم في الثغر أشد وأن يستخدم بدلم من يحتاج الى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الاسلام وعلى النصح لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم بل اذا كان ولي الامر لا يستخدم من يغشه وان كان مسلماً فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أى وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك وأما اذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم فلمهم إما المسمى وأما أجره المثل لأنهم عوقدوا على ذلك فان كان العقد صحيحاً وجب المسمى وان كان فاسداً وجبت أجره المثل وان لم يكن استخدامهم من جنس الاجارة اللازمة فهي من جنس الجعالة الجائزة لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون الا قيمة عملهم فان لم يكونوا عمالوا عماله قيمة فلا شيء لهم لكن دماهم وأموالهم مباحة واذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء فمن قبل توبتهم اذا التزموا بشريعة الاسلام أقرؤا لهم عليهم ومن لم يقبلها وورثتهم من جنسهم فان مالهم يكون فيأبى المال لكن هؤلاء اذا أخذوا فنهى يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية وكنتم أمرهم وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف فالطريق في ذلك ان يحتاط في أمرهم فلا يتركون مجتمعين ولا يمتكنون من حمل السلاح وان يكونوا من المقاتلة ويازمون شرائع الاسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعاملهم دين الاسلام ويحل بينهم وبين معاملهم فان أبا بكر الصديق رضى الله عنه وسائر الصحابة لما أظهروا على أهل الردة وجاءوا اليه قال لهم الصديق اختاروا إما الحرب المجلية وإما السلم الخزية قلوا يخافنا رسول الله هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم الخزية قل تدون قتلاً ولا ندى قتلاًكم وتشهدون أن قتلاًنا في الجنة وقتلاًكم في النار ونقسم ما أصبنا من أموالكم وتردّون ما أصبتم من أموالنا وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتركون تتبعون أذناب الابل حتى يرى خليفة الله ورسوله والمؤمنين أمراً بعد ردّكم فوافقه الصحابة على ذلك الا في تضمين قتل المسلمين فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له هؤلاء قتلوا في سبيل الله فاجورهم على الله يعنى هم شهداء فلا دية لهم فاتفقوا على قول عمر في ذلك وهذا الذى اتفق الصحابة عليه هو مذهب ائمة العلماء الذين تنزعوا فيه تنزع فيه العلماء فذهب أكثرهم ان من قتله المرتدون غنيمتاً لا يضمن كما اتفقوا عليه آخراً وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين ومذهب الشافعى وأحمد في الرواية الأخرى وهو القول

الاول فهذا الذي فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم الى الاسلام يفعل بمن أظهر الاسلام والهمة ظاهرة فيه فيمنع ان يكون من أهل الخيل والسلاح والدروع التي تلبسها المقاتلة ولا يترك في الجند من يكون يهوديا ولا نصرانيا ويازمون شرائع الاسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أو شر ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير الى بلاد المسلمين التي ليس لهم بها ظهور فاما ان يهديه الله تعالى واما ان يموت على تفاقه من غير مضرة للمسلمين ولا ريب أن جهاد هؤلاء واقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين والصديق وسائر الصحابة بدؤا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب فان جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وان يدخل فيه من أراد الخروج عنه وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة اظهار الدين وحفظ رأس المال مقدم على الربح وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب وضررهم في الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المخاريق من المشركين وأهل الكتاب ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذات بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد ان يكتم ما يعرفه من اخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد أن ينهي عن القيام بما أمر الله به ورسوله فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى وقد قال الله تعالى لئن لم يهدنا الله لنكونن من الخاسرين واليه وسلم أيها النبي جهد الكفار والمنافقين وانعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الاجر والثواب ملا يعلمه الله تعالى فان التقصود بالتقصود الاول هو هدايتهم كما قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال أبو هريرة كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الاسلام فالتقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هداية العباد لمصالح النعش وانعقاد بحسب الامكان فمن هداه الله منهم سعد في الدنيا والآخرة ومن لم يهتد كلف الله ضرره عن غيره ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أفضل الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال إن في الجنة مائة درجة ما

بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله وقال صلى الله عليه وسلم رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا مات مجاهدا وجرى عليه عمله واجري عليه رزقه من الجنة وأمن الفتنة والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يشربهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدون فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم)

والحمد لله رب العالمين وصلاته

وسلامه على خير خلقه

سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه

أجمعين

تمت رسالة الرد على النصيرية ويلها زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المساهين رضوان الله عليهم أجمعين
في من يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بعيره يطلب إزالة المرض الذي بهم ويقول يا سيدي أنا في حيرتك أنا في حسبك فلان ظلمني فلان قصد أذيتي ويقول ان المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالى وفي من ينذر للمساجد والنزوايا والمشايخ حيهم وميتهم بلذراهم والابل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك يقول ان سلم ولدي فله شيخ علي كذا وكذا وأمثل ذلك وفي من يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع وفي من يجيء الى شيخه ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بهما وجهه وأمثال ذلك وفي من يقصده بحاجته ويقول يا فلان ببركتك أو يقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ وفي من يعمل السماع ويجيء الى القبر فيكشف ويحيط وجهه بين يدي شيخه على الأرض ساجداً وفي من قل أن ثم قطبا غوثا جامعاً في الوجود أقوتنا ما جورين وابسنوا القول في ذلك

جواب

أحمد الله رب العالمين* الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانته والتوكل عليه ودعوته لجلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين الا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) وقال تعالى (وان المساحد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) قالت ضائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادي كما أنتم عبادي ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ويتقربون

الى كما تتقربون الى فاذا كان هذا حال من يدعوا الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم
وقال تعالى (أحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم
للكافرين نزلاً) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فيبين سبحانه أن من دعا من دون الله من جميع الخلوقات
من الملائكة والبشر وغيرهم انهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه وانه ليس له شريك
في ملكه بل هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانه ليس له عون
يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء وان انشفعاء عنده لا يشفعون الا لمن ارتضى
فينتفى بذلك وجوه الشرك وذلك ان من يدعو من دونه إما أن يكون مالكا وإما
أن لا يكون واذا لم يكن شريكا فما أن يكون معاونا واما أن يكون سائلا طالبا فالاقسام
الاول الثلاثة منتفية واما الرابع فلا يكون الا من بعد اذنه كما قال تعالى (من ذا الذي
يشفع عنده لا بذنه) وكما قال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا
الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء
قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات
والأرض) وقال تعالى (الله الذي خالق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم
استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) وقال تعالى
(وأنذره الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع
لعلمهم يتقون) وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
لناس كونوا عباد لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون ولا يأمركم أن اتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي أمركم بالكفر بعد إذ
أنتم مسلمون) فاذا جعل من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كافرا فكيف من اتخذ من
دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا وتفصيل القول ان مطلوب العبد ان كان من الامور
التي لا يقدر عليها الا الله تعالى مثل أن يطلب شفاء مرضه من الآدميين والبهائم أو وفاء
دينه من غير جهة معينة أو عافية أهله وماله من بلاء الدنيا والآخرة واتصاه على
عدوه وهداية قلبه وغفران ذنبه أو دخوله الجنة أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم
والقرآن أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه وأمثال ذلك فهذه الامور كلها
لا يجوز أن تطلب الا من الله تعالى ولا يجوز أن يقول ملك ولا نبي ولا شيخ سواء

كان حيا أوميتا اغفر ذنبي ولا أنصرفني على عدوى ولا أشف مريضى ولا عافنى أو عاف
أدلى أو دابى وما أشبه ذلك ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من
جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبيا والتمثيل التى يصورونها على صورهم
ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه قل الله تعالى (واذ قال الله يا عيسى بن مريم
أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله الآية) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله
الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) وأما ما يقدر عليه العبد ويجوز أن يطلب منه في بعض
الاحوال دون بعض فان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيها عنها قال الله
تعالى (فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) وأوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله وأوصى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم طائفة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا فكان سوط أحدهم يسقط من كفه
فلا يقول لاحد ناوانى إياه وثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وآله وسلم قال يدخل
الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتونون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والاسترقاء طلب الرقية وهو من أنواع الدعاء ومع هذا
فقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب
دعوة الا وكل الله بها ملكا كلما دعا لأخيه دعوة قل اللهم لك مثل ذلك ومن
المشروع في الدعاء اجابة غيب الغائب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة عليه
وطلبنا الوسيلة له وأخبر بما لنا في ذلك من الاجر اذا دعونا بذلك فقال في الحديث اذا
سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فان من صلى على مرة صلى الله عليه
عشر اثم اسألوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينفى أن تكون الا لعبد من عباد
الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة
ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه وممن هو دونه فقد روى طلب الدعاء
من الاعلى والادنى فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر الى العمرة وقال لا تنسنا
من دعائك يا أخى لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة
له ذكر أن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا وان من سأل له الوسيلة حلت له
شفاعته يوم القيامة فكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك وفرق بين من طلب من غيره شيئا
لمنفعة المطلب منه ومن يسأل غيره لحاجته اليه فقط وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه

وآله وسلم ذكر أويس القرني وقال لعمران استطعت أن يستغفر لك فافعل وفي الصحيحين أنه كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء فقال أبو بكر لعمر استغفر لي لكن في الحديث أن أبا بكر ذكر أنه حنق على عمر وثبت أن أقواما كانوا يسترقون وكان النبي صلى الله عليه وآله وسليما يرقهم وثبت في الصحيحين أن الناس لما أجذبوا سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقى لهم فدعا الله لهم فسقوا وفي الصحيحين أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس فدعا فقال اللهم إنا كنا إذا أجذبنا نتوسل بنينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نينا فاستقنا فسقوا وفي الحديث أن اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فسيح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك فافتره على قوله انا نستشفع بك على الله وأنكر عليه نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع اليه والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به* وأما زيارة القبور المشروعة فهو أن يسلم على الميت ويدعوا له بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا سلام عايكم أهل ديار قوم مؤمنين وإذا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام والله تعالى يثيب الحى إذا دعا للميت المؤمن كما يثيبه إذا صلى على جنازته ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل ذلك بالمتأفين فقال عز من قائل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحى إلى الميت ولا مسأله ولا توسله به بل فيها منفعة الحى للميت كالصلاة عليه والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه اليه و يثيب هذا على عمله فانه ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعوا له

(فصل) وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ويسأله ويستجده فهذا على ثلاث درجات أحدها أن يسأله حاجته مثل أن

يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه أو يقضى دينه أو ينتقم له من عدوه أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فهذا شرك صحيح يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب ولا قتل وإن قال أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور لأنني أتوسل إلى الله به كما يتوسل إلى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من أفعال المشركين والتصارى فانهم يزعمون أنهم يتخذون أجبارهم ورهبانهم شفعا يستشفعون بهم في مطالبهم وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا ما نبد لهم الا يقربونا إلى الله زلفى وقال سبحانه وتعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل الله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم إليه ترجعون) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تدكرون) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه) فبين الفرق بينه وبين خاتمه فان من عادة الناس أن يستشفعوا إلى الكبير من كبارهم بمن يكرم عليه فيسأله ذلك الشفيع فيقضى حاجته إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما مودة وإما غير ذلك والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه فلا مركاه له ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ولكن ليغزم المسئلة فإن الله لا مكره له فبين أن الرب سبحانه يفعل ما يشاء لا يكرهه أحد على ما اختاره كما قد يكره الشافع المشفوع اليه وكما يكره السائل ذا الحق عليه وذاد بالمسئلة فالرغبة تجب أن تكون اليه كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) والرهبة تكون من الله كما قال تعالى (وإياي فارهبون) وقال تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون) وقد أمرنا أن نصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا وقول كثير من السائل هذا أقرب إلى الله مني وأبعد من الله لا يمكنني أن أدعوه الا بهذه الوسيلة ونحو ذلك من أقوال المشركين فإن الله تعالى يقول (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقد روي أن الصحابة قبلوا برسول الله ربنا قريب فتناجيه أم بعد فتناجيه فانزل الله هذه الآية في الحجج أنهم كانوا في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالكبر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غافا بل تدعون سميعا قريبا أقرب إليكم أو إلى أحدكم من

عنق راحلته وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وأمر كلّا منهم أن يقولوا
 اياك نعبد واياك نستعين وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا إنما نعبدهم ليقربونا الى الله
 زلفى ثم يقال لهذا المشرك أنت اذا دعوت فان كنت تبظن انه أعلم بحالك واقدر على
 عطاء سؤالك أو ارحم بك فهذا جهل وضلال وكفر وان كنت تعلم أن الله أعلم واقدر
 وأرحم فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره الاتسمع الى ماخرجه البخارى وغيره
 عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة
 في الامور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بامر فليركع ركعتين من
 غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك
 العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا
 الامر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة امرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان
 كنت تعلم أن هذا الامر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة امرى فاصرفه عنى واصرفنى
 عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به قال ويسمى حاجته فامر العبد أن يقول
 استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم وان كنت تعلم انه
 أقرب الى الله منك وأعزى درجة عند الله منك فهذا حق لكن كلمة حق أريد بها
 باطل فانه اذا كان أقرب منك وأعزى درجة منك فأنما معناه أن يثبته ويعطيه أكثر
 مما يعطيك ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضى حاجتك أعظم مما يقضيها اذا
 دعوت أنت الله تعالى فانك إن كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء مثلاً لما فيه من
 العدوان فالنبي والصالح لا يمين على ما يكرهه الله ولا يسعى فيما يفضيه الله وان لم يكن
 كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول وان قات هذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما
 يجيبه اذا دعوته فهذا هو القسم الثانى وهو أن لا تنقلب منه الفعل ولا تدعوه ولكن
 نطلب أن يدعواك كما تقول لى ارحمى وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون
 من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء فهذا مشروع فى الحى كما تقدم وأما الميت من
 الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول ادع انا ولا اسئلكم انا ربك ولم يفعل
 هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمره أحد من لائمة ولا ورد فيه حديث بل
 الذى ثبت فى الصحيح أنهم لما أجذبوا زمن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال
 اللهم إنا كنا إذا أجذبنا نتوسل اليك بنينا فتسقينا وإذا نتوسل اليك بعم نبتنا فاسقنا
 فيسقون ولم يجيبوا الى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلين يا رسول الله ادع الله لنا

واستسقى لنا ونحن نشتكى اليك مما أصابنا ونحو ذلك لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان بل كانوا إذا جاؤا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلمون عليه فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه في سائر البقاع وذلك أن في الموطأ وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي السنن عنه أنه قال لاتخذوا قبري عيداً وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وفي الصحيح عنه أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ولو لا ذلك لبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك وفي سنن أبي داود عنه قال لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولهذا قال علماءنا لا يجوز بناء المسجد على القبور وقالوا أنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا لمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء لامن درهم ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك كله نذر معصية وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه واختلف العلماء هل على الناظر كفارة يمين على قولين ولهذا لم يقتل أحد من أئمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهد القبور مستحبة أو فيها فضيلة ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء بل انفقوا كما هم على أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور قبور الانبياء والصالحين سواء سميت مشاهد أو لم تسم وقد شرح الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء فقال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ولم يقتل المشاهد وقال تعالى (واتم عاكفون في المساجد) ولم يقتل في مشهد وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وقلوا للذي كفر بغير الله فلا يعبر عنه مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فسر أولئك أن يكونوا من المهتدين) وفي سنن أبي داود مساجد الله لا تدنوا مع شيء أحد وقال صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه

بخمسة وعشرين ضعفا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وأما القبور فقد ورد نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن اتخاذها مساجد ولعن من يفعل ذلك وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين كما ذكره البخاري في صحيحه والطبراني وغيره في تفاسيرهم وذكره وثيمة وغيره في قصص الأنبياء في قوله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قالوا هذه أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تمانيمهم أصناما وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين أو الصحابة وأهل البيت وغيرهم فإنه لا يتمسح به ولا يقبله بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضى الله عنه قال والله أنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركنى البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان موجودا فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة وذكر أن مالكا لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ورخص فيه أحمد وغيره لأن ابن عمر رضى الله عنهما فعلاه وأما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيله فكأنهم كره ذلك ونهى عنه وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين وهذا ما يضر به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم والرجل الصالح في حياته وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك أنه في حياته لا يعبد أحد بمحضوره فإذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم وأصحابون أحياء لا يتركون أحدا يشرك بهم بمحضورهم بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام ما فات لهم إلا ما أمرني به أن أعبد الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد فقل رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله وشئت فقال أجباني بما ندا ما شاء الله وحده

وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد ولما قالت الجويرية * وفينا رسول الله يعلم ما في غد * قال دعى هذا وقولي بالذي كنت تقولين وقال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولما صفوا خلفه قياما قال لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضهم بضاً وقال أنس لم يكن شيء أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ولما سجد له معاذنهاه وقال انه لا يصاح السجود الا لله ولو كنت أمرا أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولما أتى على الزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الالهية أمر بتحريقهم بالنار فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلال الذين غرضهم الغلو في الارض والفساد والفتنة بالانبياء والصالحين واتخاذهم أربابا والاشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما اشرك بيسوع وعزير فهذا ما بين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله في مماته ومغيبه ولم يكن أحدا من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تبعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لافي مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك الكوف ومن أعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب ياسيدي فلان كأنه يطلب منه ازالة ضرره أو جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح واهل احوارهم ورهبانهم ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبياً محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعلم الناس بقدره وحقه سبحانه ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك لافي مغيبه ولا بعد مماته وهؤلاء المشركون يضمون الى الشرك الكذب فان الكذب مقرون بالشرك وقد قال تعالى (واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور خفاء لله غير مشركين به) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله مرتين أو ثلاثا وقال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) وقال الخليل عليه السلام أياك آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين * فمن كذبهم ان أحدهم يقول عن شيخه ان المريد اذا كان بالمغرب وشيخه بالشرق وأنكشف غطاؤه رده عليه وان الشيخ ان لم يكن كذلك لم يكن شيخا وقد تفويهم الشياطين كما تفوى عباد الاصنام كما كان يجري في العرب في أصنامهم

ولعباد الكواكب وطلاسمها من الشرك والسحر كما يجري للتار والهند والسودان وغيرهم من أصناف المشركين من اغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك فكثير من هؤلاء قد يجري له نوع من ذلك لاسيما عند سماع المكاء والتصدية فان الشياطين قد تنزل عليهم وقد يصاب أحدهم كما يصاب المصروع من الارغاء والازباد والصبياح المتكر ويكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون وامثال ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الفضالين * وأما القسم الثالث وهو ان يقول اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بجرمة فلان عندك افعل بي كذا وكذا فهذا يفعل كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وساب الامة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما احكيه الامارات فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام فانه أفتى انه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك الا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان صح الحديث في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى الاستغناء قد روى النسائي والترمذي وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي ليقضيها لي اللهم فشفعه في فان هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد مماته قالوا وليس في التوسل دعاء الخلقين ولا استغاثة بالخلق وانما هو دعاء واستغاثة به لكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر في دعاء الخارج للصلاة ان يقول اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت قالوا ففي هذا الحديث انه سأل بحق السائلين عليه وبحق ممشاه الى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقا قال الله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ونحو قوله (كان على ربك وعدا مسؤولا) وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله اعلم قل حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك فان حقهم عليه أن لا يعذبهم وقد جاء في غير حديث كان حقا على كذا وكذا كقوله من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما فان تاب تاب الله عليه فان عاد فشرها في الثالثة أو الرابعة كان حقا على

الله أن يسقيه من طينة الجبال قيل وما طينة الجبال قال عصارة أهل النار وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه بل انما فيه التوسل في حياته بحضوره كما في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا أجدنا نتوسل اليك بنينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نينا فاسقنا فيسقون وقد بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون وذلك التوسل به انهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم فيدعوهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه كما في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله لنا أن يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال واقلعت نخرنا نمشي في الشمس في هذا الحديث انه قال ادع الله لنا أن يمسكها عنا وفي الصحيح ان عبد الله بن عمر قال اني لأذكر قول أبي طالب في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه ولما مات توسلوا بالعباس رضى الله عنه كما كانوا يتوسلون به ويستسقون وما كانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا عند قبر غيره وكذلك معاوية بن أبي سفيان استسقى يزيد بن الاسود الجرشي وقال اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا يا يزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا فلذلك قال العلماء يستحب أن يستسقى باهل الصلاح والخير فاذا كانوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحسن ولم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصلاح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا في الانتصار ولا غير ذلك من الادعية والدعاء مخ العبادة والعبادة مبناه على السنة والاتباع لاعلى الاهواء والابتداع وانما يعبد الله بما شرع لا يعبد بالاهواء والبدع قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخيفة انه لا يحب المعتدين) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الدعاء والظهور* وأما الرجل اذا أصابته نائبة

أَوْخاف شيئا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس دين النصارى فان الله هو الذى يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وقال تعالى (قل أرايتكم ان أنا كم عذاب الله أو أتتكم الساعة غير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فين أن من يدعى من الملائكة والانبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا فاذا قال قائل أنا ادعو الشيخ ليكون شفيعا لي فهو من جنس النصارى والاحبار والرهبان والمؤمن يرجو ربه ويخافه ويدعوه مخلصا له الدين وحق شيخه أن يدعوه له ويترحم عليه فان أعظم الخلق قدرا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه اعلم الناس بامرهم وقدره وأطوع الناس له ولم يكن يأمر أحدا منهم عند الفزع والخوف أن يقول ياسيدى يا رسول الله ولم يكونوا يفعلون ذلك في حياته ولا بعد مماته بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الكلمة قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعنى وأصحابه حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول عند الكرب لا إله الا الله العظيم الحليم لا إله الا الله رب العرش الكريم لا إله الا الله رب السموات والارض ورب العرش العظيم وقد روى أنه علم نحو هذا الدعاء بعض أهل بيته وفي السنن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا حزبه أمر قال يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث وروى أنه علم ابنته فاطمة أن تقول يا حى يا قيوم يا بديع السموات والارض لا إله الا أنت برحمتك أستغيث أصالح لى شأنى كله ولا تكلفنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك وفي مسند الامام أحمد وصحيح أبى حاتم البستى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا قال يا رسول الله أفلا نتعلمهن قال ينبغي لمن سمعن أن يتعلمهن وقال لامته إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة وذكر الله والاستغفار فامرهم عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعق والصدقة ولم يامرهم أن يدعوا مخلوقا ولا ملكا ولا نبيا ولا غيرهم ومثل هذا كثير في سنته لم يشرع للمسلمين عند الخوف الا ما أمر الله به من دعاء الله وذكره والاستغفار والصلاة والصدقة ونحو ذلك فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما شرع الله ورسوله الى بدعة ما أنزل الله بهما من سلطان تضاهي دين المشركين والندارى فان زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك وأنه مثل له شيخه ونحو ذلك فعباد الكواكب والاصنام ونحوهم من أهل الشرك يجزى لهم مثل هذا كما قد تواتر ذلك عن مضي من المشركين وعن المشركين في هذا الزمان فلولا ذلك ما عبدت الاصنام ونحوها وقال الخليل عليه السلام (واجنبي وبنى أن نعبد الاصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) ويقال له أول ما ظهر الشرك في أرض مكة بعد ابراهيم الخليل من جهة عمرو بن لحي الخزاعي الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحجر أمعاءه في النار وهو أول من سب السوائب وغير دين ابراهيم قالوا إنه ورد الشام فوجد فيها أصناما بالبلقاء يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم فنقلها الى مكة وسن للعرب الشرك وعبادة الاصنام والامور التي حرمها الله ورسوله من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة الزور وغير ذلك من المحرمات قديكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضرة ولولا ذلك ما أقدمت النفوس على المحرمات التي لا خير فيها بحال وانما يوقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة فاما العالم بقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله والذين يفعلون هذه الامور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد وقد تكون بهم حاجة اليها مثل الشهوة اليها وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتى يفعلوها والهوى غالبا يجعل صاحبه

كأنه لا يعلم من الحق شيئا فإن حبك للشيء يعمى ويصم ولهذا كان العالم يخشى الله
 وقال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن قول الله عز وجل (إنما
 التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) الآية وليس هذا موضع
 البسط لبيان ما في المنهيات من المفسدات الغالبة وما في المأمورات من المصالح الغالبة بل
 يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة وما نهى الله عنه فهو
 مفسدة محضة أو غالبة وإن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته اليهم ونهاهم عن ما فيه
 مفسادهم ولهذا وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم
 عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث* وأما التمسح بالقبور أو تقبيلها
 وتمزيق الحدة عليه فمنهى عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا
 أحد من سلف الأمة وائتمها بل هذا من الشرك قال الله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتكم
 ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) وقد تقدم أن
 هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح وأنهم عكفوا على قبورهم مدة ثم طال عليهم
 الهم فصوروا تماثيلهم لاسيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به وقد تقدم ذكر
 ذلك وبيان ما فيه من الشرك وبيننا الفرق بين الزيارة البدعية التي تشبه أهلها بالنصارى
 وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم أو تقبيل الأرض ونحو ذلك فإنه
 مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عز وجل منهى
 عنه ففي المسند وغيره أن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما رجع من الشام سجد لاتبى
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال ما هذا يا معاذ فقال يا رسول الله رأيته في الشام يسجدون
 لاساقفتهم ويذكرون ذلك عن أنبيائهم فقال كذبوا يا معاذ لو كنت آمرا أحدا أن
 يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها يا معاذ أرايت أن
 مررت بقبرى أكنت ساجدا قال لا قال لا تفعل هذا أو كما قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر أنه صلى الله عليه وآله وسلم
 صلى باتجاهه قاعدا من مرض كان به فسلوا قياما فأمرهم بالجلوس وقال لا تعظموني كما
 تعظم الأعاجم بعضهم بعضا وقال من سره أن يمثله الناس قياما فليتبوأ مقعده من
 النار فإذا كان قد نهاهم مع قعوده وإن كانوا قاموا في الصلاة حتى لا يشبهوا بمن يقومون
 لعظمتهم وبين أن من سره القيام له كان من أهل النار فكيف بما فيه السجود له ومن
 وضع الرأس وتقبيل الأبدى وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو خليفة

الله على الارض قد وكل أعوانا يمنعون الداخل من تقبيل الارض ويؤدبهم اذا قبل أحد الارض وبالجملة قال القيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والارض وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب مثل الحلف بغير الله عز وجل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان حالفا فليحلف بالله أولي صمت متفق عليه وقال أيضا من حلف بغير الله فقد أشرك فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولأه الله أمركم واخلاص الدين لله هو أضل العبادة ونيينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن الشرك دقة وجهه وحقيقه وكبيره حتى انه قد تواتر عنه أنه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بالفاظ متنوعة تارة يقول لا تحركوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها وتارة ينهى عن الصلاة بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس وتارة يذكر أن الشمس اذا طلعت طلعت بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ونهى عن الصلاة في هذا الوقت لما فيه من مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت وان الشيطان يقارن الشمس حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو شرك وم مشابهة للمشركين وقد قال الله تعالى فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وذلك لما فيه من مشابهة أهل الكتاب من اتخاذهم بعضهم بعضا أربابا من دون الله ونحن منهيون عن مثل هذا ومن عدل عن هدى نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهدى أصحابه والتابعين لهم باحسان الى ما هو من جنس هدى التصاري فقد ترك ما أمر الله به ورسوله * وأما قول القائل انقضت حاجتي ببركة الله وبركته فنكر من القول فانه لا يقارن بالله في مثل هذا غيره حتى أن قائلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله وشئت فقال اجعاني لله ندا بل ما شاء الله وحده وقال لأصحابه لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد وفي الحديث ان بعض النسبيين رأى قائلا يقول نعم الفوم أتم لولا انكم تنددون أي تجعلون لله ندا يعني تقولون ما شاء الله وشاء محمد فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن ذلك وفي الصحيح عن زيد بن خالد قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة الفجر بالحديبية في أثر سماء من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم الليلة قلنا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوأكب ومؤمن بالكوأكب كافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوأكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوأكب والاسباب التي جعلها الله تعالى أسبابا لا تجعل مع الله شركاء وأنداداً وأعواناً وقول القائل ببركة الشيخ قد يعنى بها دعاءه وأسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب وقد يعنى بها بركة ما أمره به وعلمه من الخير وقد يعنى بها بركة معاوته له على الحق وموالاته في الدين ونحو ذلك وهذه كلها معان صحيحة وقد يعنى بها دعاء للميت والغائب إذ استقلال الشيخ بذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه أو غير قادر عليه أو غير قاصد له متابته أو مطاوعته على ذلك من البدع المنكرات من هذه المعاني الباطلة والذي لا ريب فيه ان العمل بطاعة الله تعالى ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك هو نافع في الدنيا والآخرة وذلك بفضل الله ورحمته * وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الاسلام مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدداً للخلائق بواسطة في نصرهم ورزقهم حتى يقول أن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطة فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في على رضى الله عنه وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب والا قتل فانه ليس من المخلوقات لملك ولا بشر يكون امداد الخلائق بواسطة ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العشرة الذين يزعمون أنها الملائكة وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك كفراً باتفاق المسلمين وكذلك أعنى بالغوث ما يقوله بعضهم من ان في الارض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يسمونهم النجباء فينتقى منهم سبعون هم النقباء ومنهم أربعون هم الابدال ومنهم سبعة هم الاقطاب ومنهم أربعة هم الاوتاد ومنهم واحد وهو الغوث وانه مقيم بمكة وان اهل الارض اذا نالهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا الى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وأولئك يفرعون الى السبعين والسبعون الى الأربعين والأربعون الى السبعة والسبعة الى الأربعة والأربعة الى الواحد وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الاسداد والاسماء والمراتب فان لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم أنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره

على قول من يقول منهم ان الخضر هو مرتبة وان لكل زمان خضر فان لهم في ذلك قولين وهذا كله باطل لأصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قاله أحد من سلف الامة ولا ائمتها ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكرنوا بمكة وقد روى بعضهم حديثاً في هلال غلام المغيرة ابن شعبة وأنه أحد السبعة والحديث باطل باتفاق أهل المعرفة وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث أبو نعيم في حلية الاولياء والشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته فلا تغتر بذلك فان فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمكذوب الذي لا خلاف بين العلماء في أنه كذب موضوع وتارة يرويه على عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ما سمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وبالجمله فقد علم المسلمون كلهم ان ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرغبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق ودعائهم عند الكسوف والاعتداد لرفع البلاء وامثال ذلك انما يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له لا يشركون به شيئاً لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بجوانحهم الى غير الله عز وجل بلا واسطة فيجيبهم فتراهم بعد التوحيد والاسلام لا يخيب دعاؤهم الا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره) وقال تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه) وقال تعالى (قل أرايتم إن أنا لكم عذاب الله أو أتتكم الساعة غير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء وتسون ما تشركون) وقال (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون) فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون) والنبي صلى الله عليه وآله وسلم استسقى لاصحابه بصلاة وبغير صلاة وصلى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف وكان يقنت في صلاته فيستنصر على المشركين وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين وما زالوا على هذه الطريقة ولهذا يقال ثلاثة أشياء ما لها من أصل باب النصيرية ومنتظر الرافضة وغوث الجهال فان

التصيرية تدعى في الباب الذي لهم ما هو من هذا الجنس انه الذي يقيم العالم فذاك شخصه موجود ولكن دعوى التصيرية فيه باطلة وأما محمد بن الحسن المنتظر والقوت المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس له وجود وكذلك ما يزعمه بعضهم من ان القطب القوت الجامع عند أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل فابو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ولا يدانهم فكيف هؤلاء الضالين المغترين الكذابين ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد ولد آدم إنما عرف الذين لم يكن رأيهم من أمته بسماء الوضوء وهو الغرة والتحجيل ومن هؤلاء من أولياء الله ما لا يحصيه الا الله عز وجل وأتباع الله الذين هو امامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم بل قال الله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وموسى لم يكن يعرف الخضر والخضر لم يكن يعرف موسى بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر وأنى بارضك السلام فقل له أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم وقد كان بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه ومن قال انه نقيب الاولياء أو انه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل والصواب الذي عليه المحققون انه ميت وانه لم يدرك الاسلام ولو كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكن يكون في مكة والمدينة ولكن يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن محتفيا عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به وامثاله حاجة لافي دينهم ولا في دنياهم فان دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي علمهم الكتاب والحكمة وقال لهم نبينهم لو كان موسى حيا ثم أتبعتموه وتركتموني لضلالتهم وعيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبينهم فأى حاجة لهم مع هذا الى الخضر وغيره والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء وحضوره مع المسلمين وقال كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى في آخرها فاذا كان النبيان الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجوا عن هذه الامة لاعوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم واذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون * وقول القائل انه نقيب

الاولياء فيقال له من ولاة النقابة وأفضل الاولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيهم الخضر وغاية ما يحكي في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال أنه الخضر كما ان الرافضة ترى شخصاً ظن أنه الامام المنتظر المصوم أو تدعي ذلك وروى الامام أحمد بن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر من أحلك على غائب فما أنصفك وما أتى هذا على السنة الناس الا الشيطان وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع واما ان قصد القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن أن يكون في الزمان متساويان في الفضل وثلاثة وأربعة وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه وتلك الوجوه اما متقاربة واما متساوية ثم اذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته بالقطب الغوث الجامع بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولا تكلم بهذا أحد من سلف الامة وأئمتها وما زال السلف يظنون في بعض الناس أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان لاسيما من المنتحايين بهذا الاسم من يدعي ان هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ثم يتسلسل الامر الى مادونه الى بعض مشايخ المتأخرين وهذا لا يصح لاعلى مذهب أهل السنة ولا على مذهب الرافضة فاين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام وقد حكى عن بعض الاكابر من الشيوخ المنتحايين لهذا ان القطب الفرد الجامع ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك وان هذا انتقل عنه الى الحسن وتسلسل الى شيخه فينت أن هذا كفر صريح وجهل قبيح وان دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر دعو ماسواه وقد قال الله تعالى (قل لأقول لكم عندي خزانة الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) وقال تعالى (قل لأملك نفسي نفعا ولاضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء الآية) وقال تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا الآية) وقال تعالى (يقولون هل لنا من الامر من شيء قل إن الامر كله لله) وقال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا أويكبهم فنبقروا خائبين ليس لك من الامر شيء أويكبهم فانبهم فانبهم ظالمون)

وقال تعالى (انك لاتهدي من أحيت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) والله سبحانه وتعالى أمرنا ان نطيع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وأمرنا أن نتبعه فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وأمرنا أن نعززه ونوقره وننصره وجعل له من الحقوق ماينه في كتابه وسنة رسوله حتى أوجب علينا أن يكون أحب الناس إلينا من أنفسنا وأهلينا فقال تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) وقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال له عمر رضى الله عنه يا رسول الله لانت أحب الى من كل شئ الا من نفسى فقال لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك قال فلانت أحب الى من نفسى قال الآن يا عمر وقال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلتقى في النار وقد بين في كتابه حقوقه التي لاتصلح الا له وحقوق رسوله وحقوق المؤمنين بمضمهم على بعض كما بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وذلك مثل قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فالولئك هم الفائزون) فالطاعة لله والرسول والخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون) فالإتباء لله والرسول والرغبة لله وحده وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) لأن الحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله وأما التحسب فهو لله وخده كما قال (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل حسبنا الله ورسوله وقال تعالى (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وهذا هو الصواب المقطوع به في هذه الآية ولهذا كانت كلمة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام حسبنا الله ونعم الوكيل والله سبحانه وتعالى أعلم واحكم وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

اعلان

فهرس مطبوعات (المكتبة الحلييه) لاصحابها أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه
(تحت عنوان) محمد أمين الخانجي وشركاه بشارع الحلوجي بمصر

(مؤلفات الامام الغزالي)

الاقتصاد في الاعتقاد

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

محك النظر النظر في المنطق

القسطاس المستقيم في الرد على الباطنية

الحكمة في مخلوقات الله عز وجل

فاتحة العلوم

منهاج العابدين

المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى

(مؤلفات ابن تيميه)

جواب أهل العلم والايمان في تفاضل آى القرآن

تفسير سورة الاخلاص

مجموع تسع رسائل

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

(مؤلفات ابن القيم الجوزيه)

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

اعلام الموقعين عن رب العالمين

هداية الحيارى من اليهود والنصارى

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والاراده

(مؤلفات نخر الدين الرازى)

التفسير الكبير وبهامشه تفسير آبى السعود طبع المطبعة العامره

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ومعه شرح الطوسي عليه وبهامشه كتاب معالم أصول الدين للرازي
لوامع اليينات شرح أسماء الله تعالى والصفات
(كتب أدبيه)

ديوان زهير بن أبي سلمى المزني مع شرحه للاعلام النحوي الشنتمري
الصناعتين (النثر والنظم) لأبي هلال العسكري
فقه اللغة وسر العربية للإمام الثعالبي
المفصل للعلامة الزمخشري مع كتاب الفضل شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر
الدين النصاني

شرح شواهد منفى اليب للعلامة جلال الدين السيوطي مع تراجم شعرائه
ديوان القاضي أبي بكر الأرجاني طبع بيروت
مختار الصحاح صغير طبع الاستانة
كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون طبع الاستانة
الشعر والشعراء لابن قتيبة أو طبقات الشعراء
لطائف اللغة طبع الاستانة
المخلد لصاحب الكشكول مع أسرار البلاغة له
تفريح المهج بتلويح الفرغ الجامع لثلاث كتب
الأنحاف بحب الاشراف للشبراوي
مفتاح العلوم للإمام السكاكي وبهامشه اتمام الدراية لقراء النقاية للسيوطي
تاريخ الازهر لمصطفى بك يرم
أدب الدنيا والدين للماوردي

(علوم شتى)

الفصل في الملل والاهواء والنحل للإمام المجتهد انطالق أبي محمد علي بن حزم الظاهري
وبهامشه الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
الآل المصنوعة في الاحاديث الموضوعة للجلال السيوطي
ما بعد الطبيعة لابن رشد

فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال له

المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد للاستاذ الشيخ حسن السقا
 شرحي الشمائل للملاعي القاري والشيخ عبد الرؤف المناوي
 الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
 الاشارة والايجاز الى ما وقع في القرآن من أنواع المجاز لعز الدين بن عبد السلام
 منظومة الكواكب في أصول فقه الحنفية
 كشف الاسرار شرح أصول البزدوي لعبد العزيز البخاري
 تأسيس النظر في اختلاف الفقهاء للامام الدبوسي
 أفضل الصلوات على سيد السادات للشيخ يوسف النبهاني
 شجرة الكون للشيخ الأكبر طبع الاستانة
 نثر الدراري على الفناري منطق طبع الاستانة
 متن الشمسية في فن المنطق
 شرح سعد الدين التفتازاني على الشمسية
 الفارق بين المخلوق والحق لعبد الرحمن بك الباجوحي وبهامشه كتاب الاجوبة
 الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة لقرافي وهداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن
 القيم
 الدر النضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسلام الهروي حفيد السعد
 رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام للنايلسي
 مراتب المدلسين للمحافظ ابن حجر ومعه الناسخ والمنسوخ من الحديث للمحافظ بن الجوزي
 تفسير ابن جرير الطبري وبهامشه تفسير النيسابوري
 تفسير الخازن وبهامشه تفسير الشيخ الأكبر طبع الاستانة
 القول الحق لبعض أفاضل علماء الروسين
 النصيحة العامة للبرزنجي
 مجموع المتون طبع الاستانة
 شرح أسماء أهل بدر واحد معرب
 شرح مطالع الارموي لتطاب الدين الرازي طبع الاستانة
 المبادئ المنطقية للفيومي
 الاجوبة المكية عن الاسئلة الحجازية للسيد مكي افندي ابن عزوز

- الموعظة الحسنة للزبيدي
 عقد الجواهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين للمجلوني
 قصة المولد النبوي للبرزنجي
 الشمائل النبويه للترمذي
 طلبه الطلبة في لغة الفقهاء
 الاشباه والنظائر الفقيه لابن نجيم المصري
 مناقب الامام الاعظم للكردي مع مناقبه للسرخسي
 الخصائص الكبرى للسيوطي
 مفتاح كنوز القرآن
 المخزون في تسليية المخزون
 ثمرات الحياة
 في علم الهيئة الاجتماعية
 في المحاضرات
 أعلام النبوه للامام الماوردي
 دلائل النبوه لابي نعيم صاحب الحليه
 حاشية العطار على جمع الجوامع مع تقارير فضيلة الشيخ الشريفي



﴿ فهرس ما تضمنه هذا المجموع من الرسائل ﴾

٢	الرسالة (الاولى) العبودية
٤٥	» (الثانية) الواسطة بين الخلق والحق
٥٥	» (الثالثة) رفع الملام عن الائمة الاعلام
٨٤	» (الرابعة) تنوع العبادات
٩٤	» (الخامسة) الرد على النصيرية
١٠٣	» (السادسة) زيارة القبور والاستجداء بالمقبور
٢	» (السابعة) معارج الوصول الى أن فروع الدين وأصوله مما بينه الرسول (*)
٢٥	» (الثامنة) المظالم المشتركة
٣٥	» (التاسعة) الحسبة في الاسلام
(*) بعد أن تم لنا طبع هذه الرسائل الثلاث في مجموع مستقل وغب البنا الكثير من زبائننا أن نضمه الى المجموع الاول لينتظم سلكهما في عقد واحد	

DATE DUE

[illegible]

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00500638

